روائع شهريار القصصية

ميراج

قصص

آلان روب-غرييه

ترجمها عن الفرنسية: د. حسن سرحان

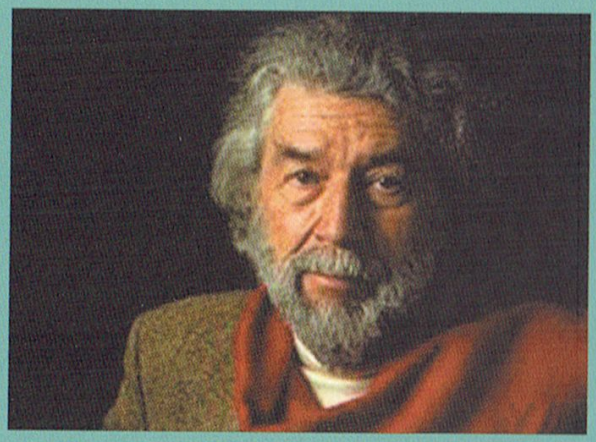

آلان روب-غرييه

روائي وسيناريست فرنسي

ولد في شهر آب عام 1922 في مدينة بريست الصغيرة الواقعة على المحيط الأطلسي، وتوفي قريباً منها يوم 18 آب من سنة 2008 في مدينة كاين إلى الغرب من فرنسا.

يعد روب-غرييه، إضافة إلى ناتالي ساروت وميشيل بوتور وكلود سيمون من مؤسسي تيار الرواية الجديدة الذي نشأ في فرنسا خلال خمسينيات القرن المنصرم. عُرف هذا التيار الذي تزعمه روب-غرييه بالدعوة إلى تجديد أساليب كتابة الرواية ونبذ التقاليد الروائية الموروثة عن القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

نشر هذا الكاتب الكبير مجموعة قصصية واحدة فقط هي هذه التي نضعها بين أيدي القراء.

لقطات

لقطات.. قصص

آلان روب-غرييه

ترجمة: د. حسن سرحان

الطبعة الأولى: 2018

الغلاف: صدام الجميلي

حقوق النسخ والتأليف © دار شهريار

Copyright©2018 by Shahrayar Books

العراق / البصرة / العشار / خلف فندق اليرموك

Mob- 009647814145195

بريد إلكتروني: safaadhiab@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، من دون إذن خطي من الناشر.

توزيع: دار الرافدين- بيروت

daralrafiddain@yahoo.com

الترقيم الدولي ISBN: **978-1-77322-832-7**

آلان روب-غرييه

لقطات

ترجمها عن الفرنسية: د. حسن سرحان

قصص

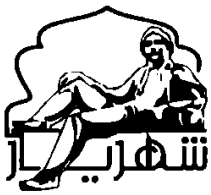

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://www.facebook.com/BookLover8
https://t.me/BookLover8

آلان روب-غرييه والقصة القصيرة

د. حسن سرحان

ليس آلان روب-غرييه قاصاً مواظباً على كتابة القصة القصيرة. هذا أمر لا يقبل جدالاً كثيراً ولا يحتمل نقاشاً طويلاً لأنّ الرجل لم ينشر طوال أكثر من نصف قرن من العمل الإبداعي إلا مجموعة قصصية واحدة عنوانها "لقطات" صدرت سنة 1962 عن دار مينوي الباريسية. احتوت هذه المجموعة على عشر قصص قصيرة بدأ روب-غرييه بنشرها في المجلات الفرنسية اعتباراً من عام 1954. رغم أهميتها الفنية وطبيعتها التجريبية الخالصة، بقيت هذه القصص الطليعية بلا ترجمة جامعة تنقل كامل نصوصها من الفرنسية إلى اللغة العربية مباشرة. صحيح أن قسماً قليلاً منها كان قد ترجم، لكن نقلاً عن الانكليزية في الغالب وليس عن اللغة الأصلية التي كتبت بها القصص، مما أفقدها جزءاً كبيراً من مزاياها وخصائصها اللغوية والفنية. لا يقتصر عدم الاهتمام الذي عرفته هذه المجموعة القصصية على الترجمة، إنما يشمل النقد أيضاً. لم يمنح دارسو مؤلفات روب-غرييه تلك النصوص العناية المناسبة مع كونها، بحسب آلان غوليه، الأساس الذي شيّد عليه رائد الرواية الجديدة كل القوانين الفنية التي ميّزت نتاجه السردي وحتى السينمائي. رغم

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

قلة عددها، شكلت هذه القصص القصيرة محطةً مهمةً في تاريخ التجديد والتجريب والاختلاف ومفارقة السائد. عندما يكتفي روب-غرييه بالتبشير بمشروعه التجديدي في التكنيك القصصي بمجموعة قصصية واحدة، تقوض المواضعات الفنية المتعارف عليها، فذلك مؤشر على أن الكتابة القليلة المتسمة بالكثافة والاقتصاد والدقة والبناء الفني المحكم يمكنها أن تفتح آفاق التجديد.

تجتمع في هذه المجموعة القصصية عدة تقنيات وتتقاطع مسارات أسلوبية متباينة لا تنسجم مع نفسها جمالياً إلا من حيث انتمائها لفن القصة التجريبية التي يكتبها مؤلف مشاكس يركب رأسه شيطانُ التجريب وتتقمصه روح أدبية عبقرية مهووسة بتفضيل الإدراك الحسي والوصف والخيال والفنتازيا على الواقعية التقليدية والحبكة والإثارة والتشويق. تؤطر قصص هذه المجموعة رؤيةٌ فنية اعتمدت، في نسقها العام، بنية سردية غاية في الدقة محورها الأساس إبراز حضور الأشياء والتأكيد على وجودها المستقل إزاء باقي مكونات عالم السرد. بطبيعة الحال، الأشياء حاضرة في الرواية والقصة منذ القدم، لكنها كانت دائماً تابعة في وجودها للشخصية وتستمد منها مبرر حضورها داخل جو الحكاية. أعني أن الأشياء لا تُستدعى لذاتها وليست مهمة بنفسها، بل لأن الشخصية تحتاج إليها لتستكمل عناصر الإيهام بواقعيتها وتعزز الانطباع بتماثلها مع عالم القارئ الخارجي. لم يكن "الشيء" في رواية وقصة القرن التاسع عشر الواقعية غير ديكور ثانوي يؤدي وظيفة محددة مسبقاً ينحصر بها سبب استخدامه وتتقيد بها طبيعة دوره. لا تحظى الأشياء بالاهتمام والعناية في السرد الكلاسيكي إلا ساعةَ يريد الروائي أو القاص رسم المكان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

التي تتواجد فيه الشخصية وتزويد القارئ بفكرة عن مستواها الاجتماعي والكشف عن ميولها النفسية والذوقية عن طريق ما تملك وما تحب أو تكره من الأشياء. أكيداً، ليس روب-غرييه أول من جذب الانتباه إلى حضور الأشياء المستقل في القصة أو الرواية فقد سبقه إلى ذلك عديدون منهم جان- بول سارتر وفرنسيس بونج إضافة إلى السوريالليين طبعاً. في كتابه "الانحياز إلى الأشياء" الصادر سنة 1942 الذي حوى مجموعة قصائد نثرية، يصف بونج أشياء من الحياة اليومية عادية جداً لا ينتبه إليها المرء بالغالب رغم جمال حضورها وفرادته. من جهته، منح سارتر "الشيء" المهمل مساحةً مناسبة من الاهتمام وقدراً كبيراً من الاستقلال في روايته "الغثيان" التي نشرها سنة 1939. غير أن الأشياء لم تكتسب حضوراً خالياً من كل تبعية ولم تتحرر من ارتباطها بباقي عناصر السرد إلاّ مع روب-غرييه وزملائه من كتّاب الرواية الجديدة الذين رجّحوا، في خمسينيات القرن الماضي، كفة الأشياء على ما عداها مما جعل رولان بارت يسمي ما يكتبونه بأدب الأشياء. هذا الميل جهة "الشيء" واضح في جميع قصص هذه المجموعة التي يقوم كل نص منها على اقتطاع حيز صغير وعادي للحظة زمنية قصيرة جداً تهيمن عليها حاسةُ النظر وتملؤها الأشياء. كما عليه الأمر في عموم مؤلفات روب-غرييه، هناك عين واحدة داخل هذه القصص تحتكر النظر هي عين السارد ذات الحيادية التامة المماثلة لتلك التي تتصف بها الكاميرا. تبحث العين/ الكاميرا عن كل "شيء" يمكن لها أن تلتقط حضوره كي يصفه السارد أكثر من مرة بموضوعية كاملة دون أن يسند إليه (أعني إلى الشيء) عمقاً أو رسالة أو وظيفة من أي نوع كانت. ما يميز أشياء روب-غرييه أنها لا تعرف الكلام ولا تجيد تمرير الرسائل لأن

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الكاتب لا يبيح لشخصياته أن تُسقط عليها شحناتها الانفعالية. أشياء روب غرييه لا تملك غير سمة واحدة: إنها "هنا" وفقط وليست "هنا" لكي توصل معنى ما أو تحيل إلى فكرة ما. من أجل أن يوفر للرائي فرصة السيطرة على حركة العين ويتيح لهذه الأخيرة إمكانية التجوال المستريح والمتكرر في فضاء المكان والإسهاب في وصف محتوياته القليلة، بنى روب-غرييه عالم قصصه الفني على اقتصاد شديد في كل مفردات القص. فقصصه لا تحوي شخصيات كثيرة وأمكنته ضيقة غالباً ولا تتعدى أن تكون: غرفة، صالة درس، جزءاً معزولاً من شاطئ لا يرتاده كثيرون، زنزانة سجن، مقهى أو بيتاً مهجوراً. ليس في هذه الأمكنة غير أشياء جامدة وقليلة لا تتفاعل مع بعضها ولا مع الشخصيات التي تقاسمها الحيز لكنها، أي الأشياء، هي من تحدد شكل النص وتصيغ مساره السردي وتعيّن له صفة خطابه الجمالي.

يمكن أن نعد قصة "المانيكان" وهي أول نصوص هذه المجموعة نموذجاً ممثّلاً للتكنيك الذي اتبعه روب-غرييه في باقي القصص. لا وجود، في هذا النص القصير المكتوب سنة 1954، لشخصيات حية مطلقاً باستثناء الراوي/ الكاميرا المتواجد داخل غرفة صغيرة لقياس الملابس. تحوي هذه الغرفة، إضافة إلى تمثال عرض الأزياء أو المانيكان، طاولة فوقها إبريق قهوة كما تضم خزانة ملابس ذات مرآة وموقداً توجد أعلاه مرآةٌ ثانية. أول ما ترينا إياه العين المحايدة دورقَ قهوة موضوعاً على طاولة لها أربع قوائم يغطيها مفرش مرسوم عليه شكلٌ لا تستطيع العين أن تتبين ملامحه بوضوح في البداية لأن إبريق القهوة يحجبه بصورة تكاد تكون تامة. كعادة روب-غرييه في إعطاء دور مميز لجزئية ما من المكان لتمارس دوراً سردياً مهماً، تطيل العين التوقف أمام

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مرآة مستطيلة كبيرة (تلك التي أعلى الموقد) تنعكس فيها بعض صور الأشياء الموجودة في الغرفة والتي من بينها مرآةُ خزانة الملابس. في هذه الأخيرة، تبدو، من جديد، الأشياء عينها التي ظهرت في المرآة الأولى بما فيها المانيكان. هكذا، يتجسد لهذا الأخير أكثر من صورة تُبرز كل واحدة منها جانباً لم يظهر في المرآة الأولى. عن طريق هذه المرايا، يتضاعف الشيء الواحد وتتعدد زوايا رؤيته وتتداخل انعكاساته حتى يغدو من الصعب معرفة الصورة المنعكسة من أصلها. باستثناء فعل النظر، لا شيء آخر يحدث في الغرفة، لا حركة ولا صوت ولا حوار من أي نوع. ولأن العين لا تمل النظر، يعود بنا السارد، في السطر الأخير من القصة، إلى نقطة البداية عندما يخبرنا أن على الطاولة إبريقاً للقهوة موضوعاً على صورة لبومةٍ ذات عينين كبيرتين ومخيفتين قليلاً. لكن الرسم، بسبب الإبريق الذي يحجبه عن الرؤية، لا يمكن أن يُشاهد بوضوح مما يعني تمهيداً لاستئناف وصف الأشياء ذاتها. بعودته إلى جملة الاستهلال، يجعل النص من نهايته بدايةً ثانية لرحلة وصف أخرى ينثال فيها السرد من جديد كي يمنح العين فرصة التمتع مرة أخرى بالنظر إلى الأشياء.

كما في كل نصوصه، لا يولد فعل القص عند روب-غرييه إلاّ من فعل النظر لذا فإن أية محاولة لتشريح نص لهذا الكاتب يجب أن تمرَّ حتماً عبر دراسة الوصف الذي يُغرق فيه متلقيه. إذا ما تفاعل القارئ مع الوصف وتذوّقه فإن النص نفسه، باعتباره إدراكا حسياً/ بصرياً وجمالياً محضاً، سيفك له شفراته وسينفتح عليه بكل ألغازه وإن بدت هذه الأخيرة عند مستوى القراءة الأولى مستغلقة ومبهمة. طبقاً لمفهوم روب-غرييه، ليس النص سوى صورة أو مجموعة معقدة من صور جامدة للعين أن تلتقطها بدون أي تسلسل زمني أو

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

استمرارية زمنية إذ لا وجود لمعنى مستمر عند روب-غرييه. بوصفها آلة إدراكية، فإن العين، في نصوص هذا الروائي والقاص، لا تنظر كي تحلل أو لتؤسس علائق داخل الزمن بينها وبين ما تراه كما هو الحال في النصوص الكلاسيكية. يمثل هذا التشديد على حيادية حاسة النظر، حسب رأي رولان بارت، سلوكاً تطهرياً قصدياً غايته الوحيدة تحرير الأشياء من المعنى الذي منحه لها الإنسان على الدوام.

10

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ثلاث زوايا نظر متعاكسة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

1- المانيكان

على المنضدة، يوجد إبريق للقهوة. هذه المنضدة مدورة الشكل ذات قوائم أربع يغطي سطحها نسيجٌ من قماش مشمع تبرز عليه أشكالٌ مربعة بالأحمر والرمادي مرسومة على خلفية ذات لون أبيض مصفر لعلها كانت في الأصل مصنوعةً من العاج أو من نسيجٍ قطني.

في منتصف الطاولة، هناك بلاطة من السيراميك تقوم مقام المفْرَش الذي يوضع عليه صحن الطعام. إن إبريق القهوة الموضوع فوق المفرش ذاك يغطي بشكل كلي الرسمَ الموجودَ عليه أو في الأقل يجعل من غير السهل التعرف على ملامحه.

لإبريق القهوة، المصنوع من خزفٍ ذي لون أسمر، رأسٌ تعلوه مصفاةٌ اسطوانية لها غطاءٌ كأنه نبتة الفطر. أما عنق الإبريق فهو على شكل حرف S ذو منحنيات متدنية، مستديرة قليلاً عند القاعدة. وللإبريق مقبض يشبه الأذن أو بالأحرى يشبه صيوان الأذن، لكن الشكل المصنوع بحسبه ذلك المقبض يجعله شبيهاً بأذن مصنوعة من دون مهارة، مدورة أكثر مما ينبغي وبلا شحمة فتبدو وكأنها عروة إناء.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

يكسو عنقَ الإبريق ومقبضَه وكذا غطاء رأسه لونٌ سكري، أما باقي الإبريق فلونه رمادي، فاتح، برّاق. وما خلا النسيج المشمع ومفرش الصحن وإبريق القهوة فليس على الطاولة ثمةُ شيء آخر.

أمام النافذة التي تقع على يمين الطاولة، ينتصب تمثالُ عرض الملابس. أما خلف الطاولة فتوجد كوّةُ المدخنة وقد علقت فوقها مرآةٌ كبيرة مستطيلة الشكل يُرى فيها نصف النافذة (النصف الأيمن منها) وصورة خزانة الملابس ذات المرآة والتي تظهر على الجانب الأيسر (أي على الجانب الأيمن من النافذة). تعكس مرآة خزانة الملابس من جديد النافذة نفسها والتي تبدو بكاملها هذه المرة، من جانبها الأمامي (أي أن المصراع الأيمن يظهر على اليمين والأيسر يظهر على الجانب الأيسر).

هكذا تظهر أعلى المدخنة ثلاثةُ أنصافٍ للنافذة تتتابع بشكل متصل تقريباً بحسب الترتيب الآتي (من اليسار إلى اليمين): نصفان أيسر وأيمن، يُرى كلاهما من الأمام ونصف أيمن يُشاهد منه جانبُه الخلفي.

ولكون خزانة الملابس توجد بالضبط في زاوية الغرفة وتستطيل حتى الطرف الأقصى للنافذة، فإن النصفين الأيمنين لهذه الأخيرة لا يفصل بينهما سوى ركيزة رفيعة قد تكون خشب وسط النافذة (الركيزة اليمنى للمصراع الأيسر ملتصقة بالركيزة اليسرى للمصراع الأيمن).

تسمح مصاريع النافذة الثلاثة، من أعلى السجف، برؤية أشجار الحديقة الخالية من الأوراق.

تحتلّ النافذة، هكذا، كل سطح المرآة باستثناء الجزء العلوي منها حيث تنعكس فيه رقعةٌ من سطح الغرفة وأعلى الخزانة ذات المرآة. يظهر أيضاً في

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

المرآة، فوق المدخنة، تمثالا عرض ملابس آخران. أولهما أمام المصراع الأول النافذة، وهو الأصغر من بين المصاريع، على اليسار تماماً وثانيهما أمام المصراع الثالث (ذلك المصراع الذي يقع إلى اليمين أكثر من غيره).

التمثالان غير متقابلين. إذ إن الموجود على اليمين يبين منه جزؤه الأيمن والذي على الشمال، ذاك الذي هو أصغر قليلاً من الآخر، يبدو منه جزؤه الأيسر.

لكن من الصعب تحديد ذلك من النظرة الأولى إذ إن كلتا الصورتين، بسبب الموضع الذي وضع فيه التمثالان، تبدوان وكأنهما تُظهران الجانب نفسه، الجانب الأيسر على الأرجح.

تماثيل عرض الملابس الثلاثة مصفوفة على خط مستقيم. يوجد التمثال الأوسط من بينها، ذلك المركون على الجانب الأيمن من المرآة والذي يتوسط الاثنين الآخرَيْن من حيث الطول، يوجد بالضبط بالاتجاه نفسه الذي يقع فيه إبريقُ القهوة الموضوع على الطاولة.

يلمع على الجزء الكروي من الإبريق انعكاسٌ مشوهٌ للنافذة يجعل صورتها تبدو على سطح الإبريق مثل شكل رباعي أضلاعه كأنها أقواس دائرة. يستطيل الخط الذي تصنعه الركائز الخشبية بين مصراعي النافذة فجأة نحو الأسفل على شكل بقعة من الظل غير محددة المعالم.

ما زال ذلك دون شك ظلُ تمثال عرض الملابس.

الغرفة مضيئة جداً لأن النافذة عريضة بشكل استثنائي مع أنها لا تملك غير مصراعين.

تنبعث رائحة طيبة لقهوةٍ حارةٍ من الإبريق الذي على الطاولة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تمثالُ عرض الملابس ليس في مكانه، إذ إنه يصف عادةً في زاوية النافذة على الجانب المقابل للخزانة ذات المرآة. حتى هذه الأخيرة ليست في موقعها المعتاد فهي كانت قد ركنت في الموضع الذي هي فيه الآن لغرض تيسير عملية قياس الملابس.

يمثل الرسمُ الذي تحت الصحن بومةً لها عينان واسعتان مخيفتان قليلاً.

لكن في الوقت الراهن ليس من الممكن تمييزُ شيءٍ من ذلك الرسم لأن إبريق القهوة موضوعٌ عليه.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

2- البديل

تراجع الطالبُ إلى الوراء قليلاً رافعاً رأسه نحو أكثر الأغصان قرباً من الأرض. عاد فتقدم خطوةً إلى الأمام في محاولةٍ لالتقاط فرعٍ بدا له غيرَ بعيدٍ عن متناول يده. استند إلى أطراف أصابعه رافعاً جسمه إلى علوٍ يسمح له، إن هو مد يده بالقدر الذي يستطيعه، بالوصول إلى حيث ذلك الغصن، لكن محاولته تلك لم تشفع له لنيلِ مبتغاه. إثْرَ عدة محاولاتٍ غير مجدية، بدا أن الطالب تخلّى عن مطلبه فها هو قد أخفض ذراعه وتابع التحديق بشيء ما بين أوراق الشجر.

بعد ذلك، عاد من جديد واستقر أمام الشجرة في وضعه الأول نفسه حيث الركبتان مثنيتان قليلاً والنصف العلوي من الجسم منحنٍ نحو اليمين والرأس مائل إلى جهة الكتف.

ما زال يحمل حقيبته المدرسية بيده اليسرى. لم يكن بالإمكان رؤية اليد الأخرى التي يستند بها، دون شك، إلى جذع الشجرة. كما أنه ليس بالمستطاع رؤية وجهه الذي يكاد يلاصق اللحاء كما لو كان يريد، من أقرب مسافةٍ ممكنةٍ، تفحص شيء ما هناك على علو متر ونصف من الأرض تقريباً.

ثانيةً، توقف التلميذ في الصف عن القراءة لكن، هذه المرة، كان لا بد من وجود نقطة تشير إلى نهاية جملة أو ربما فقرة. بالإمكان القول إن الولد كان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

يبذل جهداً لتحديد نهاية المقطع الذي كان يقرأه. نهض الطالب في الخارج لتفحص اللحاء الذي كان يعلو رأسه بقليل.

تعالت همهمات التلاميذ في الصف. أدار المعلم رأسه ورأى أن معظم هؤلاء كانوا قد رفعوا عيونهم نحو الشارع بدلاً من متابعة القراءة في كتبهم التي كانت أمامهم، بما في ذلك التلميذ الذي كان يقرأ الدرس. ينظر هذا الأخير نحو أستاذه نظرةً بدتْ مستفهمةً أو خائفةً. اكتسى صوت الأستاذ بنبرة قاسية وهو يخاطب التلميذ الذي كان يقرأ الدرس لزملائه: "ماذا تنتظر لمواصلة القراءة؟".

طأطأ التلاميذُ رؤوسهم بصمت واستأنف الولدُ نفسه قراءة النص بذات الصوت المثابر الخالي من أي تنويع والمتمهل أكثر بقليل مما ينبغي والذي كان يعطي لكل الكلمات قيمةً متماثلةً ويفصل بينها بشكل متطابق: "إذن، في المساء، زار جوزيف دو هاجن، أحد ضباط فيليب، قصر رئيس الأساقفة بحجة القيام بزيارة مجاملة. وكما قلنا سابقاً فإن الأَخَوَيْن...".

في الجانب الآخر من الشارع، عاد الطالب إلى تفحّص الأوراق القريبة منه. ضرب الأستاذُ على مكتبه بكف يده: "وكما قلنا سابقاً، فارزة، فإن الأَخَوَيْن...".

عثر المعلمُ، في كتابه، على المقطع الذي كان يقرأه التلميذ. راح معلمُ الصف يقرأ النص مبالِغاً في التشديد على علامات التنقيط: "أعِد القراءة" كما قلنا سابقاً، فإن الأَخَوَيْن كانا موجودين هناك من قبْل وذلك كي يتمكنوا، عند تطلب الأمر، التذرع بهذه الحجة..." وأنتبِه لما تقرأ".

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

بعد فترة من الصمت، أعاد الولد قراءة الجملة: "كما قلنا سابقاً، فإن الأخويْن كانا موجوديْن هناك من قبل وذلك كي يتمكنوا، عند تطلب الأمر، التذرع بهذه الحجة المثيرة للشك في الحقيقة، لكنها كانت أفضل ما متاح في هذا الظرف وبذا فإن ابن عمهم المرتاب لن...".

صمت الصوت الرتيب فجأةً وسط الجملة تماماً. أما باقي التلاميذ، الذين كانوا قبل ذلك قد رفعوا رؤوسهم ينظرون نحو الدمية الورقية المعلقة على الحائط، فإنهم عادوا بالحال وانهمكوا بالنظر في كتبهم. نقل الأستاذ نظره من النافذة إلى التلميذ الذي كان يقرأ الدرس والجالس قرب الباب، في الصف الأول من الجانب المقابل للمكان الذي يقف فيه معلمه.

"حسنا، استمر بالقراءة! ليس هناك نقطة تشير إلى نهاية الجملة. يبدو أنك لا تعي شيئاً مما تقرأ!".

نظر الولد إلى أستاذه، ومن ورائه، على اليمين قليلاً، إلى الدمية الورقية البيضاء.

"هل تفهم ما تقرأ؟ نعم أم لا؟"

- نعم، قال الولد بصوت غير واثق.
- نعم سيدي، صحَّح الأستاذ.
- نعم سيدي"، ردَّد الولد.

نظر الأستاذ إلى النص في كتابه وسأل:

"ما معنى كلمة "حُجة"؟"

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

نظر الولد إلى شكل الرجل الذي تمثّله الدميةُ الورقيةُ، ثم إلى الحائط العاري، أمامه مباشرة، وبعد ذلك عاد ينظر في كتابه، ثم إلى الحائط ثانيةً. استغرق ذلك ما يقارب الدقيقة.

"وإذن؟

- لا أعرف سيدي"، قال الولد.

استعرض الأستاذ، بعينيه، الصف على مهل. رفع تلميذٌ، يجلس قرب النافذة التي في نهاية القاعة، يدَه. أشار المعلمُ اليه بإصبعه. نهضَ الولدُ من مقعده وقال:

"كي يُظَنَّ أنهم كانوا هناك يا سيدي.

- حدد. منْ تقصد؟

- أقصد الأخَويْن، سيدي.

- أين أرادا أن يُعتقد أنهما كانا؟

- في المدينة، سيدي عند كبير الأساقفة.

- وأين كانوا في الحقيقة؟

فكر الولد للحظة قبل أن يجيب.

"لكنهما كانا هناك بالفعل، يا سيدي، أرادا فقط الذهاب إلى مكان آخر وجعْلِ الآخرين يظنون أنهم ما زالوا في ذلك المكان".

في وقت متأخر من الليل، أخفى الأخَوان وجهيهما تحت قناعين سوداوين وارتدى كل منهما قبعة كبيرة من لون قناعيهما نفسه وتزحلقا على سلم مصنوع من حبل ثبّتاه أعلى شارع مهجور.

20

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

هز الأستاذ رأسه عدة مرات يميناً وشمالاً كما لو كان يقر جزئياً ما قاله التلميذ. بعد مضي ثوان، قال الأستاذ: "حسنا".

"والآن ستلخص كل المقطع الذي قرأته لزملائك الذين لم يفهموا".

نظر الولد إلى النافذة ثم إلى كتابه وما لبث أن رفع عينيه باتجاه الأستاذ: "من أين يجب أن أبدأ، سيدي؟

- من أول الفصل."

دون أن يعاود الجلوس، قلّب الولدُ صفحات كتابه وبعد صمت قصير، شرع بسرد مؤامرة فيليب دو كوبورغك. رغم العديد من التوقفات والاستئناف، كان الولد يحكي القصة بطريقة متماسكة نوعاً ما. غير أنه كان يعطي أهمية أكثر مما ينبغي إلى وقائع ثانوية عكس ما كان يفعل مع بعض الأحداث المهمة التي كان بالكاد يذكرها أو يهمل ذكرها تماماً. وبما أنه، علاوةً على ما سبق، كان يركز، في سرده، على الأحداث أكثر من تركيزه على أسبابها السياسية، فلعله كان من الصعب على السامع غير المطلع على الأمور أن يكتشف أسباب الواقعة والعلاقات التي كانت تربط الأحداث فيما بينها كما بين مختلف الشخصيات. لا شعورياً، جال الأستاذ ببصره على طول نوافذ الصف. كان الطالبُ قد عاد إلى محاولة الإمساك بالغصن القريب من الأرض. أخذ، بعدما وضع حقيبته تحت الشجرة، بالنط من مكانه ماداً إحدى ذراعيه نحو الغصن. أمام ما كان يرى من عبث جهوده، رجع الطالب إلى سكونه من جديد وهو يتأمل الأوراق البعيدة المنال.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عسكر فيليب دو كوبورغك مع مرتزقته على ضفاف نهر النيكار[1].
كان التلاميذ، الذين لم يعد يفترض بهم متابعة النص، قد رفعوا رؤوسهم يتمعنون، دون كلام، الدمية الورقية المعلقة على الحائط. لم تكن للدمية يدان ولا رجْلان، ليس غير أربعة أعضاء مقطعة بشكل فظ ورأس مدور، ضخم جداً يمر به خيط تُشاهدَ، على علو عشر سنتمترات من طرفه الآخر، كرةُ النشاف المقروضة التي كانت تمسك بالدمية.

لكن السارد كان قد ضاع في تفاصيل لم تكن مهمة بالمرة وانتهى المعلم بمقاطعته:

"هذا جيد، قال المعلم، هكذا نحن نعلم الآن ما فيه الكفاية عن الحادثة. اجلس واستأنف القراءة من أول الصفحة: "لكن فيليب وأنصاره.."."

انكب كل تلاميذ الصف على كتبهم وبدأ القارئ الجديد يتلو عليهم القصة بصوت، كذلك الذي سبقه، خالٍ من التعبير رغم تحديده الدقيق للفوارز والنقاط الموجودة في النص: "لكن فيليب وأنصاره كانوا قد رفضوا الاقتراح الذي قُدمَ لهم. إذا ما كان أغلبية أعضاء المجلس الاتحادي الألماني أو حتى حزب البارونات فقط قد تنازلوا بهذه الطريقة عن الامتيازات الممنوحة، له كما لهم، مقابل الدعم الثمين الذي قدمه فيليب ومرتزقته لقضية العائلة المالكة خلال فترة الثورة، فلن يعود بإمكانهم بعد الآن أن يطلبوا، مستقبلاً، اتهام أي مشتبهٍ به جديد أو طلب تعليق حقوقه المولوية بدون قرار حكم. كان لا بد لهذه المحادثات التي بدت لفيليب في غير صالح قضيته، أن تتوقف بأي ثمن قبل الموعد المحتوم. في المساء، ذهب إذن جوزيف دو هاجن، أحد ضباط

---

[1] نهر في المانيا يقطع مدن توبنجن هيلبرون وشتوتغارت.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

جيش فيليب، إلى قصر رئيس الأساقفة بحجة القيام بزيارة استطلاعية. كما قلنا ذلك، فإن الأخوين كانا يتواجدان هناك من قبل...".

ظلت وجوه التلاميذ منكبةً باهتمام على كتبهم. أدار المعلمُ عينيه نحو النافذة. كان الطالبُ مستنداً إلى الشجرة مستغرقاً بتفحص لحائها. أخفض جسمه على مهل شديد كما لو كان يريد متابعةَ خطٍ محفورٍ على ذلك اللحاء، في الجانب الذي لم يكن مرئياً من جهة نوافذ المدرسة. على بعد حوالي المتر والنصف من الأرض أوقف الطالب حركته مميلاً رأسه إلى الجانب في الموضع نفسه الذي كان يشغله تماماً. واحداً تلو الآخر، نهض تلاميذ الصف لمراقبة ما يحدث.

كان هؤلاء ينظرون إلى معلمهم ثم إلى النوافذ التي كان زجاجها السفلي من النوع الخشن مما جعل من الصعب على الصف أن يرى، من أعلى النوافذ، غير أعالي الأشجار والسماء. في مقابل الزجاج، لم يكن هناك وجود لذبابة ولا لفراشة. وسريعاً تأملتْ كلُّ النظرات، من جديد، صورةَ الرجل المرسوم على الورقة البيضاء المعلقة أمامهم على الجدار.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

3- الاتجاه الخاطئ

تجمعت مياه الأمطار في حفرة منخفضة غير عميقة شكّلت، وسط الأشجار، بركة عريضة، دائرية تقريباً قطرها حوالي عشرة أمتار. من كل الجهات، تبدو الأرض سوداء دونما أدنى أثر لنباتٍ بين الجذوع العالية والمستقيمة. في هذا الجزء من الغابة، لا توجد أيكات أشجار صغيرة ولا أجمات.

لا شيء يغطي الأرض غير لبّاد متشابه مكوّن من فروع أشجار وأوراق لم يتبقَ منها سوى أضلاعها التي تبرز عليها بالكاد في قليل من الأماكن بضعةُ طبقات من طحالب نصف متحللة. عند أعلى الجذوع، تتقاطع الأغصان العارية بوضوح تحت السماء.

الماء صافٍ، وإن بدا لونه بنياً. بقايا دقيقة ساقطة من الأشجار- فضْلات أغصان صغيرة، حبوب فارغة، قطع من لحاء الأشجار- تجمعت داخل البركة ونقعت فيها منذ بداية الشتاء، لكن لا قطعة من هذه الأجزاء تطفو ولا تأتي كي تخرق سطح الماء الصافي والراكد بشكل موحد. كما لا أثر لأية ريح خفيفة تعكر سكون الماء.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

صفا الجو. إنها نهاية النهار. خلف الجذوع، على اليسار، تهبط الشمس نحو المغيب راسمةً أشعتها المائلة قليلاً، على طول سطح البركة، على شكل حزم من الضوء متقاربة تتناوب مع حزم مظلمة أعرض منها.

بموازاة هذه الأشعة، يمتد صف من الأشجار عند حد النهر، على الضفة المقابلة. الأشجار اسطوانية تماماً وعمودية بلا أغصان متدنية. إنها تمتد نحو الأسفل في صورة لامعة جداً، أشدُّ سطوعاً بكثير من النموذج الموجود في الواقع والذي يبدو، بالمقارنة، مشوشاً، بل وحتى غامضاً قليلاً. داخل الماء الأسود اللون، تلمع الجذوع المتناسقة كما لو كانت مغطاة بطلاء براق. من جهة المغيب، كان شعاع ضوء الشمس يرسخ حدود تلك الجذوع.

مع ذلك، فإن هذا المنظر المثير للإعجاب ليس فقط معكوساً، بل غير مترابط، فأشعة الشمس التي تظلل كل المرآة تقطع الصورة بخطوط أكثر وضوحاً، متباعدة فيما بينها بانتظام وبشكل متعامد مع الجذوع المتقابلة؛ تبدو الرؤية داخل اللوحة كأنها محجوبة بالإضاءة الكثيفة التي تكشف عدداً لا يحصى من الجزيئات المعلقة في الطبقة العليا من الماء. وحدها مناطق الظل، حيث تكون هذه الجزيئات الدقيقة غير مرئية، هي التي تسترعي الانتباه بلمعانها. كل جذع يبدو بهذه الحالة مقطوعاً، على مسافات متساوية بطريقة محسوسة، من قبل مجموعة من الحلقات قليلة الضياء (والتي تعيد إلى الأذهان صورة المنظر الأصلي)، مانحة هذا الجزء من الغابة "في العمق" شكلَ شبكة. عند متناول اليد، قريباً من الضفة الجنوبية، تتصل الأغصان في المنظر المنعكس بأوراق قديمة بارزة، شقراء، لكنها ما زالت كاملة، والتي تنفصل أنصالها السليمة فوق القاع الطيني عن أوراق شجر البلوط.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إلى اليمين، يسير شخص بدون أية ضوضاء على الجادة الترابية متوجها صوب الماء. إنه يتقدم إلى حد الجرف ويتوقف. ولأن الشمس كانت بالضبط تسقط على عينيه، توجب عليه أن يتحرك إلى الجانب كي يحمي ناظريه. يلمح حينئذ السطح المحزز للبركة. لكن بالنسبة له، فإن انعكاس جذوع الأشجار يختلط مع الظل جزئياً على الأقل ذلك لأن الأشجار التي أمامه ليست مستقيمة تماماً. زد على هذا أن النور المعاكس ما زال يمنعه من تمييز أي شيء بوضوح. وبدون شك، لا توجد أوراق بلوط عند قدميه. كانت نزهته تنتهي عند ذلك الحد. أم تراه قد تبين له في هذه اللحظة، إنه ضل طريقه؟ بعد أن يلقي عدة نظرات غير واثقة على ما يحيط به، يستدير نحو الشرق عبْر الغابة صامتاً على الدوام سالكاً الطريق نفسه الذي أتى منه. من جديد يبدو المشهد خالياً. إلى اليسار، ما تزال الشمس على ارتفاعها نفسه، فالنور لم يتغير. في الجهة المقابلة، تنعكس الجذوع المستقيمة الملساء في الماء الراكد تعامدياً مع أشعة الغروب. أسفل حزم الظل، تسطع الصورة المقتطعة لأعمدة الأشجار، مقلوبةً، سوداء ومغسولة بطريقة عجيبة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

طريق العودة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ما أن اجتزنا خط الصخور الذي كان، إلى ذلك الحين، يعيق نظرنا، حتى لمحنا اليابسة من جديد، فبانَ لنا التلّ حيث توجد غابة الصنوبر، وكذا بانَ المنزلان الأبيضان ونهاية الطريق ذي المنحدر الخفيف الذي كنا قد وصلنا عن طريقه. لقد قمنا بدورة حول الجزيرة.

مع ذلك، إذا كنا قد تعرفنا دون عناء على المنظر من جهة اليابسة، فلم يكن الأمر مماثلاً بالنسبة للذراع الضيقة للبحر التي كانت تفصلنا عن الأرض، ولا على وجه الخصوص، بالنسبة للضفة التي كنا نتواجد فيها. هكذا، لزمتنا عدة دقائق، كي نتيقن من أن الممر كان مقطوعاً. وجب علينا أن ندرك ذلك من النظرة الأولى. ينحدر الطريق المحفور بحد السكين بموازاة ضفة البحر ويتصل، على مستوى الساحل، مع حاجز صخري بواسطة انعطافة مفاجئة نحو اليمين، عريضة بما يكفي لمرور سيارة والتي كانت تسمح للمرء، عند حدوث الجزْر، بعبور المضيق دون أن تبتل قدماه. عند العطفة، هناك منحدر عالٍ يسنده جدار صغير في المكان الذي بدأ يتعثر عنده الطريق. لدى رؤيته من الموضع الذي كنا نشغله الآن، فان هذا الجدار يحجب مدخل السد عن الرؤية. أما باقي السد، فقد كان مغموراً بالماء. وحده تغيّرُ زاوية النظر منْ شتت تركيزنا للحظة: كنا هذه المرة داخل الجزيرة، وزيادة على ذلك، فقد وصلنا من الاتجاه المعاكس سائرين في طريقنا نحو الشمال بينما نهاية الطريق تقع خلفنا، إلى الجنوب.

29

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

من أعلى الساحل، بالضبط بعد المنعطف الذي تميزه عن غيره ثلاث أو أربع شجرات صنوبر منفصلة عن باقي الغابة الصغيرة، يبدو أمامنا الطريق النازل بالضبط نحو السد، مع ذراع البحر، على الجهة اليمنى والجزيرة التي ليست بعدُ جزيرةً بشكل تام. الماء الهادئ كهدوء ماء بركة، يصل تقريباً إلى أعلى الطريق الحجري ذي السطح الأسمر الصقيل الذي يعرض نفس الجانب العتيق الذي تظهره الصخور المجاورة. على الصخور، تترك أعشاب بحرية دقيقة، تغيّر لونُها بفعل الشمس، لوحات خضر تدلُّ على انغمارها المتواصل بالماء.

عند الطرف الآخر من السد، كما الأمر من هذا الجانب، يرتفع الممر المعبّد بشكل غير محسوس كي يتصل بطريق اليابسة الذي يقطع الجزيرة الصغيرة، لكن الأمر يتغير على هذه الضفة حيث يكون الطريق فيما بعد منبسطاً بشكل كبير ويكوِّن مع السد زاويةً شديدة الانفراج.

ومع عدم وجود منحدر يجعل حضوره مبرراً، يحمي حائط، مشابه لهذا الجدار، الجانبَ الأيسر من الممر منذ بداية الارتفاع، إلى الحد الأعلى للساحل- هناك حيث الصخور غير المتساوية تترك مكانها لأجمات صغيرة. تبدو نباتات الجزيرة أكثر ذبولاً من النباتات المغبرة والصفراء التي تحيط بنا.

ها نحن ننزل الطريق المحفور بحد السكين باتجاه السد الذي يحاذيه، من جهة اليسار، بيتان صغيران من بيوت الصيادين؛ لهما واجهتان مكسوتان حديثاً بالجبس ومطليتان بلون أبيض كلسي. من هذا المكان، وحدها الصخور صاحبة الحجم التي تحيط بفتحات المنازل تبقى مرئية. للبيوت واجهات متماثلة: باب منخفض وشباك صغير مربع.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الشبابيك والأبواب مغلقة، والزجاج مغطى بمصاريع خشبية ذات لون أزرق صارخ. إلى الأسفل أكثر، يسمح طرف الطريق المنحوت داخل تربة التل، برؤية جدار عمودي من طين أصفر بطول قامة رجل تقطعه من مكان لآخر مجموعةُ صخور زيتية ذات فواصل منتصبة من نتوءات حادة. يحيط سياج غير منتظم من العليق والزعرور بذلك المجموع حاجباً عن النظر الجزيرة وغابة الصنوبر.

خلاف ذلك يكون الأمر إلى يميننا حيث الطريق لا يحاذيه سوى منحدر ضيق عال بارتفاع درجة أو درجتين بالكاد، بحيث أن النظر يسقط فيه مباشرة على صخور الساحل، على ماء المضيق الراكد، وعلى السد الصخري والجزيرة الصغيرة.

يصل الماء تقريباً عند مستوى الطريق. سيتوجب علينا أن نسرع ففي بضعة خطوات سنكمل النزول. يعمل السد زاوية قائمة مع الطريق الذي يرتكز عند نهايته، على رقعة من أرض صفراء، مثلثة الشكل تشير إلى نهاية الحز المفتوح على خاصرة التل. يحمي قاعدةَ الحز جدارٌ صغير يمتد نحو اليمين بعيداً عن رأس المثلث، على طول الطريق الحجري حيث يشكّل ما يشبه بدايةَ حاجز، لكنه ينقطع بعد عدة أمتار، في نفس الوقت الذي يخف فيه الانحدار كي يلتقي بالجزء الأوسط من السد- الجزء الأفقي الذي صقلته مياه البحر.

وقد وصلنا هناك، انتابنا تردّد من متابعة الطريق. نظرنا إلى الجزيرة التي هي الآن أمامنا محاولين تقدير الوقت الذي سيلزمنا كي ندور حولها. هناك طبعاً الطريق الأرضي الذي يقطع الجزيرة والذي بإمكاننا سلوكه، لكن بتلك الكيفية، لن يستحق الأمر العناء. من المكان الذي نحن فيه، نرى الجزيرة أمامنا

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وصخور الممر السمراء والملساء التي في الأسفل والمغطاة في بعض الأماكن بنباتات مخضرّة وشبه ذابلة يصل الماء تقريباً إلى مستواها. ماء البحر هادئ مثل ماء بركة.

لا نرى الماء يرتفع، مع ذلك لدينا الشعور بأنه يرتفع بسبب خطوط الغبار التي تتنقل ببطء على سطحه بين خصلات الحشائش البحرية.

- لن نستطيع العودة، قال فرانز.

تبدو الجزيرة، عند تأملها عن قرب ومن عند مستوى الماء، أكثر ارتفاعاً مما هي عليه قبل قليل، وأكثر اتساعاً أيضاً. نظرنا من جديد إلى الخطوط الصغيرة الرمادية التي تتقدم ببطء منتظم وتلتف بشكل حلزوني بين نتوءات الأعشاب البحرية.

قال لوكراند:

- لا يرتفع الماء بسرعة كبيرة

- لنسرع إذاً.

ها نحن نحثّ الخطى. لكن ما أن عبرنا المضيق حتى تركنا الممر المعبد كي ننحدر يميناً على الساحل الذي يحف بالجزيرة ونتابع مسيرنا بموازاة البحر. الأرض هنا غير متساوية تكثر فيها الصخور والحفر مما يجعل السير أكثر صعوبةً وأقل سرعة مما كنا نحسب.

حالما سلكنا هذا الدرب، لم تعد لدينا الرغبة بالعودة على أعقابنا. مع ذلك، فان الصخور تكون أكثر عدداً وأكثر خطورة كلما تقدمنا في مسيرنا. وجب علينا، في عدة مناسبات، تسلّق حواجز حقيقية تلج بعيداً داخل البحر مما يجعل من الصعب الالتفاف حولها. فضلا عن ذلك، يلزمنا الآن عبور

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مناطق منبسطة نسبياً، لكن الصخور فيها مغطاة بأعشاب مزحلقة مما يجعلنا نفقد وقتاً أكثر.

يقول فرانز مرة أخرى إننا لن نستطيع بعد الآن عبور الماء ثانية. في الحقيقة، من المستحيل إدراك السرعة التي يرتفع بها الماء بما إننا لم نعد نملك الوقت لأن نتوقف كي نتحقق من ذلك. ربما يكون الماء راكداً.

من الصعب أيضا معرفة أي جزء من الجزيرة كنا قد قطعنا، فالأرض ما زالت تلوح أمام عيوننا، والسنون الصخرية تتابع دون أن تمدنا بأقل علامة نهتدي بها إلى الطريق.

إضافة إلى ذلك، فإن القلق من إضاعة دقيقة واحدة في أرض وعرة يستحوذ على جلّ انتباهنا- ويختفي المنظر تاركاً المكان لبعض المشاهد العنيفة: حفرة ماء يجب تجنبها، سلسلة من الأحجار الآيلة للسقوط، كومة من نباتات البحر تخفي ما لا يمكن التنبؤ به، صخرة يجب تسلقها، حفرة أخرى تحفّها النباتات اللزجة، رمل بلون الطين يغوص عميقاً تحت الأقدام كما لو كان يريد الإمساك بها.

في النهاية، وبعد خط أخير من الصخور التي كانت تحجب عنا الرؤية منذ وقت طويل، شاهدنا اليابسة من جديد، وتل غابة الصنوبر، والبيتين الأبيضين ونهاية الطريق ذي المنحدر الخفيف والذي كنا قد وصلنا عن طريقه.

لم ندرك مباشرة أين كان يقع السد. ما عاد يفصلنا عن الساحل غير لسان بحري يجري الماء فيه بعنف إلى اليمين منّا مسبباً، في عدة نقاط، جرياناً سريعاً وتيارات عكسية. يبدو شاطئ الجزيرة نفسه وكأنه قد تغير: هو الآن عبارة عن ساحل داكن يلمع سطحه الأفقي بشكل محسوس بعدد لا يحصى من

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

البرك، عمقها أكثر من بضعة سنتمترات. يوجد هناك قارب مربوط إلى جذ
من خشب.

الدرب الذي يؤدي إلى هذا المكان على الساحل لم يكن يشبه الطريق
الأرضي الذي كنّا ما نزال نتذكره. لم نكن قد لاحظنا، فيما مضى، وجود أي
قارب.

أما بالنسبة للجسر المستخدم كرصيف للركوب، فلم يكن يشبه السدّ
الذي سلكناه عند الذهاب. كنا بحاجة إلى عدة دقائق كي نكتشف، على بعد
30 متراً إلى الأمام، الحائطين اللذين كانا يشكّلان نهايات ممر الحاجز الأولي
للسدّ. اختفى الطريق الذي كان بينهما. هناك، كان الماء يجري بقوة وبصخب
حليبي.

كانت أطراف السدّ قد برزت بالتأكيد، لكن الحائطين الصغيرين كانا
كافيين لحجبها عنّا. لم نكن نرى أسفل الدرب الذي كان يستدير بزاوية
مستقيمة، خلف المنحدر، كي يلتقي بصخور الطريق. مرة أخرى رأينا عند
أقدامنا، خطوط الغبار الرمادي التي تتقدم ببطء منتظم وتلتف بشكل حلزوني
بين نتوءات الأعشاب البحرية.

باستثناء هذه الحركة التي كانت بالكاد ملحوظة على سطحه، فإن الماء
هادئ كأنه ماء بركة، لكنه يصل تقريباً إلى مستوى السد، بينما في الجانب الآخر،
ما زال يعوزه على الأقل ثلاثون سنتمتراً كي يصل إلى المستوى نفسه. يصعد
ماء البحر بالحقيقة أسرع بكثير في الطريق المسدودة الأقرب إلى مدخل الخليج.
عندما يتجاوز الماء الحاجز الذي يضعه في طريقه السدّ، فإن الانحدار المفاجئ
لا بد أن يُنتج تياراً يجعل العبور مستحيلاً.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

- لن نستطيع العودة، يقول فرانز الذي كان أول من تكلم.

- كنت قد قلت بوضوح انه لم يعد بإمكاننا العودة.

لم يجبه أحد. عبرْنا الجسر العائم الصغير. عدم جدوى قفز الحائط من أجل محاولة عبور السد كانت بديهية، ليس لأن الماء كان قد أصبح عميقاً، بل لأن قوة الموج كانت ستفقدنا توازننا وتجرنا خارج المعبر. من قريب، كنّا نرى الانحدار بوضوح. في الأعلى، الماء أملس تماماً وساكن بحسب الظاهر، ثم ينحني فجأة من ضفة إلى أخرى على شكل شريط أسطواني متموج تقريباً في بعض الأماكن التي يكون جريان الماء فيها منتظماً بحيث يعطي انطباعاً بالسكون رغم سرعته، أو بالتوقف الهش في الحركة، كما تسمح اللقطات بتأمل هذا المنظر الذي يمثل حصاة تأتي كي تخرق هدوء البركة، لكن الصورة جمّدتْها في لحظة سقوطها على بعد سنتمترات من السطح.

بعد ذلك فقط، تبدأ سلسلة من التنوءات والحفر والدوامات ذات اللون الضارب إلى البياض الذي يشير بما يكفي لعدم انتظامها. إنه نوع من عدم انتظام ثابت، حيث ذروة الموج والفوضى تشغل، دون توقف، المكان نفسه وتحتفظ بالشكل نفسه بحيث من الممكن الظن أنها جامدة في موضعها بفعل الجليد. كل هذا العنف لم يكن له بالأجمال وجه يختلف كثيراً عن ذلك– المتستر قليلاً– الذي للخطوط الصغيرة الرمادية بين باقات نباتات البحر والتي تحاول طرده محادثتُنا المقطوعة بالصمت:

- لن نستطيع العودة.

- الماء لا يرتفع بسرعة كبيرة.

- لنسرع إذاً.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

- ما الذي تعتقدون انكم ستكتشفونه في الجانب الآخر؟
- لنكمل الجولة بدون توقف، لن يطول الأمر..
- لن يعود بإمكاننا الرجوع ثانيةً.
- الماء لا يصعد بسرعة كبيرة، لدينا الوقت للقيام بالدوران حول الجزيرة.

ونحن نستدير، لمحنا الرجل الواقف قرب القارب الموجود عند الجسر الخشبي العائم. كان ينظر باتجاهنا أو تقريباً على الأقل، فقد بدا عليه التدقيق في شيء واقع قليلاً على يسارنا، وسط الزبد. عدنا نحوه، وقبل أن نوجه اليه الكلام، قال:

- تريدون أن تعبروا؟

لم يكن ذلك سؤالاً؛ إذ إنه نزل إلى الزورق دون أن ينتظر جواباً منّا.

استقرينا نحن أيضاً داخل الزورق بالطريقة التي كانت متاحة. بالكاد كان المكان يكفينا نحن الثلاثة والرجل الذي أخذ بالتجديف إلى الأمام. كان ينبغي عليه أن يجلس بمواجهتنا، لكنه فضَّل أن يتخذ موضعاً باتجاه جلوسنا نفسه، نحو مقدمة القارب، مما أجبره على أن يجدف بالاتجاه المعاكس، في وضع غير مريح تماماً. على تلك المسافة من السدّ، كانت الدوامات ما تزال محسوسة. من أجل مقاومة تيار الماء، أصبح لزاماً على الرجل أن يعطي لجهوده ولزورقه، اتجاها منحرفاً جداً نسبةً إلى سيره. رغم ضربات المجداف القوية، لم نكن نتقدم إلا بسرعة بسيطة، حتى إنه بدا لنا لمدة من الزمن أن كل قوة الرجل لم تكن تنجح إلا بإبقائنا ثابتين في مكاننا.

36

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تفوه لوكراند بجملة مجاملة قصيرة حول صعوبة العمل الذي فرضه علينا على هذا التعيس؛ لم يحصل على جواب من الرجل.

ظناً منه إن هذا الأخير ربما لم يسمع ما قاله، انحنى لوكراند إلى الأمام كي يسأل إن كان فعلاً لم يعد لدينا فرصة لأن نعبر المضيق على أقدامنا. لم يجد ذلك نفعاً. قد يكون الرجل أصم. واصل التجديف بانتظام ماكنة، بسلاسة دون أن يغير مساره ولا بدرجة، كما لو كان يريد بلوغ، ليس رصيف الغابة الذي يشبه ذلك الذي كنا انطلقنا منه على الساحل المقابل، بل أن يصل إلى منطقة هائجة تقع إلى الشمال أكثر، عند نقطة بداية السدّ، حيث مجموعة من الصخور ينتهي عندها المنحدر الكثيف والذي يوجد خلفه طرف الطريق الخفيف الانحدار حيث البيتين الأبيضين والمنعطف المفاجئ الذي يحتمي بالجدار وحجر الرصيف الملطخ بألواح من الطحالب والماء الهادئ هدوء ماء بركة بنباتات أعشابه التي تبرز من مكان لآخر وخطوط الغبار الرمادي التي تلتف بصورة تدريجية على شكل حلزوني.

1954

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مشهد

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عندما تنفتح الستارة، فإن أول شيء يلحظه منْ في الصالة– من بين فتحات مخمل الستارة الأحمر اللون التي تتباعد على مهل– أحد شخوص المسرحية وهو يُرى من الخلف جالساً إلى طاولة الكتابة الخاصة به وسط المشهد المضاء بقوة. إنه لا يتحرك، كوعاه ومقدمتا ذراعيه على الطاولة ورأسه مستدير ناحية اليمين– بخمس وأربعين درجة تقريباً– ليس بما يكفي لتمييز ملامح وجهه. لا شيء يبين منه غير بداية صورة جانبية ضائعة تُظهر الوجنة، الصدغ، حد الفك، طرف الأذن...

لا يمكن رؤية يديه أيضاً، غير أن طريقة جلوسه تسمح بالتنبؤ بكيفية وضعهما على الطاولة : اليد اليسرى مبسوطة على أوراق متناثرة، واليد الأخرى تمسك مقبض قلم، مرفوعاً للحظة تفكير أعلى النص غير المكتمل بعد. على كل جانب تتكدس، بغير انتظام، كتب ضخمة، لها شكل وأبعاد القواميس– قواميس لغة أجنبية، دون شك– لغة قديمة ربما.

الرأس المستدير نحو اليمين، منتصب فقد تركت العينُ الكتب والجملة غير المكتملة. نظرة العين متجه نحو داخل الغرفة، إلى المكان الذي تحجب فيه ستائرٌ ثقيلة من مخمل أحمر تمتد من السقف إلى الأرض نافذةً زجاجيةً عريضة.

طيّات الستائر عمودية ومنتظمة، قريبة جداً إحداهما من الأخرى، تنفتح بينها فراغات عميقة من الظل...

41

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

في الجانب الآخر من الغرفة، تجذب الانتباه ضوضاء عنيفة: خبطات على لوحة من الخشب، مع ما يكفي من القوة والإلحاح لأن يعتقد من يسمعها أنها تتكرر، في تلك اللحظة، للمرة الثانية على الأقل.

مع ذلك، فإن الشخص الذي على المسرح بقى صامتاً ودون حراك. بعد ذلك، ومن غير أن يحرك نصفه الأعلى، أخذ يدير رأسه نحو اليسار، على مهل. تستوعب نظرته المرفوعة هكذا كلَّ الجدار الذي يشكل نهاية الغرفة الكبيرة. إنه جدار خالٍ من أي أثاث، لكنه مغطى بخشب معتم، من بداية الستائر الحمراء للنافذة إلى المصراع المغلق لباب ذي طول عادي، إن لم يكن قصيراً. تتوقف العين هناك بينما تدوي من جديد الضربات القوية إلى درجة تدفع إلى الظن برؤية اللوحة الخشبية تهتز.

ما تزال ملامح الوجه غير مرئية رغم تغيير الاتجاه. في الحقيقة، بعد دورة من 90 درجة تقريباً، يحتل الوجه الآن موضعاً مشابهاً لذلك الذي كان يحتله في البداية، نسبة إلى المحور المشترك للغرفة، والطاولة، والكرسي. يلاحظ إذن، جانب من الخد الآخر، والصدغ الآخر، والأذن الأخرى، الخ.

أحدهم يطرق الباب، يطرق ثانية، لكن بوهن أكبر، كأنها طرقة توسل أخير، أو طرقة بلا أمل، أو طرقة من استعاد هدوءه، أو فقد ثقته، أو أي شيء آخر. بعد لحظات، يُسمع صوت خطوات ثقيلة تخفت شيئاً فشيئاً داخل رواق طويل.

يدير الشخص رأسه من جديد نحو الستائر الحمراء التي على اليمين ويطلق من بين أسنانه صفيراً لبضعة نوتات لما يمكن أن يكون جملة موسيقية– مرثاة شعبية أو لحناً– لكنها جملة مشوهة، مقطوعة، يصعب تحديدها.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

بعد ذلك، وإثر دقيقة من السكون الصامت، يعيد نظره نحو كتابه. ينخفض الرأس ويتكور الظهر. مسند الكرسي الذي يجلس عليه مكون من إطار مستطيل، يكمله قضيبان عموديان يحملان، في الوسط، مربعاً من الخشب الخالص. تُسمع، أبطأ من السابق، وأكثر تشتتاً، بعض جمل من غناء رتيب يخرج كصفير من بين الأسنان.

فجأة يرفع الشخص رأسه باتجاه الباب، يتحرك وعنقه ممدود إلى الأمام. يبقى على تلك الحالة للحظات طويلة كمن يترصد. مع ذلك، لا يلتقط منْ في الصالة أدنى ضوضاء.

يقف الشخص بحذر. يبعد كرسيه متحاشياً سحبه أو جعله يحتك بالأرض، يبدأ بالمشي بخطى صامتة نحو الستائر المخملية. يزيح قليلاً طرفها الخارجي من جهة اليمين، وينظر إلى الخارج باتجاه الباب (نحو اليسار).

أصبح من الممكن، في هذه اللحظة إذن، تمييز جانبه الأيسر لو لم يكن يحجبه طرف قماش الستارة الحمراء التي تسحبها اليد مقابل الخد.

بالمقابل، بالإمكان، الآن، رؤية الأوراق البيضاء المنشورة على الطاولة. إنها كثيرة وتغطي إحداهن الأخرى. الأوراق التي في الأسفل والتي تتجاوز زواياها جوانب الطاولة بطريقة غير منتظمة، محززة بخطوط متقاربة لكتابة معتنى به. الورقة التي في الأعلى وهي الوحيدة التي ترى كاملة، لم يكتب سوى نصفها حيث إنها تنتهي وسط سطر بجملة غير كاملة دون أي علامة تنقيط بعد الكلمة الأخيرة.

إلى اليمين من هذه الورقة، يظهر طرف تلك التي أسفلها: مثلث طويل جداً يبلغ قياس قاعدته حوالي سنتمترين تقريباً، ويتقدم رأسه المدبب

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

نحو الجزء الخلفي للطاولة، حيث توجد القواميس. إلى اليمين أكثر، خلف ذلك الرأس المدبب، لكن باتجاه جانب الطاولة، توجد زاوية أخرى من صفحة تتجاوز عرض يد، تمثل أيضاً شكلاً مثلثاً يجاوره نصف مربع (مفصول بحسب خط قطري). بين قمة هذا المثلث الأخير والقاموس الأقرب، هناك على الخشب المصقول للطاولة، شيء ضارب إلى البياض ضخم مثل كف اليد: حصاة مجلية من كثرة الاستعمال، منحوتة على شكل يشبه حجارة سميكة جداً محفورة أكثر منها مقعرة ذات حدود غير منتظمة ودائرية. وسط الكآبة، يبدو عقب سيكارة مسحوق داخل الرماد. تحمل السيكارة، في طرفها غير المحترق، آثاراً واضحة من أحمر الشفاه.

غير أن الشخص الذي على المسرح كان بوضوح رجلاً: شعره قصير، ويرتدي سترة وبنطلون. عند رفع العين باتجاهه، يستنتج المرء أنه الآن واقف أمام الباب، بمواجهة زاوية النظر، أي أنه ما يزال مديراً ظهره إلى الصالة. يظن المرء أنه كان يبحث عن أن يسمع شيئاً ما، لعله كان يحدث في الجهة الأخرى من اللوحة. لكن لا تصل أية ضجة إلى الصالة. دون أن يستدير، يتراجع الرجل نحو مقدمة المسرح مستمراً بالنظر إلى الباب. عندما يصل قرب الطاولة، يضع يده اليمنى على زاويتها و....

"بسرعة أقل"، يقول، في هذه اللحظة، صوت داخل الصالة. إنه دون شك أحد ما يتكلم في مكبرة صوت، لأن المقاطع لها رنين مضخم غير طبيعي. يتوقف الشخص فيستأنف الصوت: "بسرعة أقل، قمْ بهذه الحركة! ابدأ ثانية من عند الباب: قم أولاً بخطوة إلى الخلف– خطوةً واحدةً– وابقَ بلا حراك لمدة 15 أو 20 ثانية. بعد ذلك تابع تراجعك نحو الطاولة لكن ببطء أكبر.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الرجل واقف إذن بمواجهة الباب، أي أن ظهره إلى الصالة. لعله يريد أن يسمع شيئاً ما، من المحتمل حدوثه على الجهة الأخرى من اللوحة. لا تصل أية ضجة إلى الصالة. دون أن يستدير، يقوم الرجل بخطوة إلى الوراء ويتجمد بلا حراك من جديد. بعد هنيهة، يعاود سيره المتقهقر، نحو الطاولة حيث ينتظر كتابه، ببطء شديد، بخطوات قصيرة منتظمة وصامتة بينما يستمر بتركيز نظره على الباب. حركته مستقيمة وسرعته ثابتة. أعلى الأقدام التي بالكاد تُرى تتحرك، يبقى الجزء العلوي للجسم جامداً تماماً وكذلك الذراعان، المتباعدتان قليلاً عن الجسم والمقوستان.

عندما يصل على مقربة من الطاولة، يضع يده اليمنى على زاويتها ومن أجل أن يحاذي جانب طرفها الأيسر، يغير قليلاً من اتجاهه. ساحباً نفسه على ضلع الطاولة الخشبي، يتقدم هكذا، الآن، بموازاة صف الأنوار الذي في مقدمة المسرح... ثم بعد أن اجتاز الزاوية، وبموازاة صف الأضواء... يجلس ثانية على كرسيه، حاجباً بظهره العريض الأوراق المبعثرة أمامه. ينظر إلى الأوراق، ثم إلى الستائر الحمر للنافذة ومن ثم يعاود النظر إلى الباب. مستديراً من هذا الجانب يتلفظ بأربع أو خمس كلمات غير واضحة "بصوت أعلى" يقول مكبر الصوت داخل القاعة: "الآن، هنا، حياتي ما زالت..." يقول الصوت الطبيعي– صوت الشخص الذي على المسرح. "أعلى" يقول مكبر الصوت "حالياً، هنا، حياتي، ما زالت ..." يكرر الشخص بنبرة أعلى. بعد ذلك، يستغرق ثانية بقراءة الكتاب الذي أمامه.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الشاطئ

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

على طول شاطئ البحر، يمشي ثلاثة صبية. إنهم يغذون السير، جنباً إلى جنب، وقد أمسك أحدهم بيد الآخر. كانوا متساوين بالطول وبالتأكيد بالسن: أعمارهم لا تتجاوز الثانية عشرة. مع ذلك، فإن الولد الذي يتوسط الآخرَيْن أقصر بقليل من صاحبيْه.

ليس على الشاطئ الطويل سواهم. الشاطئ عبارة عن شريط رملي واسع متماثل الشكل، لا صخور معزولة فيه ولا ثقوب مائية، ينحدر بصعوبة بين البحر والجرف الصخري الحاد الذي يبدو بلا نهاية.

الجو جميل جداً تضيء شمسُه الرملَ الأصفرَ بنور ساطع وعمودي. السماء خالية من الغيوم ولا رياح تهب من البحر الذي كانت مياهه زرقاء هادئة دون أدنى موجات آتية من عرضه مع أن الساحل كان مفتوحاً، بوسعه، على الماء حتى حدود الأفق.

مع ذلك كانت تتشكل، في فترات زمنية منتظمة، موجة طارئة، الموجة نفسها تولد دائماً على بعد أمتارٍ من الساحل، تكبر فجأة ثم لا تلبث أن تتحطم على ذات الخط دائماً. لذا لا يشعر المرء أن الماء يتقدم ثم ينحسر، بل إن الحال على عكس ذلك كما لو كانت حركة الماء تلك تتم في موضعها نفسه. يسبب ارتفاع الماء، أولاً، منخفضاً بسيطاً من جهة الساحل فتتراجع الموجة قليلاً مصحوبة بصوت الحصى المتدحرج ثم تتحطم وتنتشر على المنحدر وقد تحوّل

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لونها، عند وصولها أرض الساحل، إلى ما يشبه الزبد. نادراً ما يحدث أن مداً أقوى، هنا أو هناك، يأتي ليبلل، للحظة، بعض المساحة الإضافية.

ويعود كل شيء إلى الجمود مرة أخرى حيث يستعيد البحر انبساطه وزرقته وسكونه التام عند الارتفاع نفسه فوق رمل الساحل الأصفر حيث يسير الصبية الثلاث متجاورين.

إنهم شُقر بمثل شقرة حبات رمل الشاطئ تقريباً. غير أن لون بشرتهم أغمق قليلاً وشعر رؤوسهم أفتح بقليل من لون الرمل. يرتدي الثلاثة ملابس متشابهة: سراويل قصيرة وقمصان من قماش خشن ذي لون أزرق شاحب. يسير الصبيةُ بمحاذاة بعضهم يمسك كل واحد منهم بيد جاره، يتقدمون على خطٍ مستقيم بموازاة البحر والجرف الصخري على بعدٍ متساوٍ تقريباً عن الاثنين. مع ذلك فهم يبدون أقرب إلى البحر منهم إلى المنحدر. لا تترك الشمس، وقد صارت فوق رؤوسهم، ظلاً لهم عند أقدامهم.

أمامهم يبدو الرمل كأن لم تطأه قدم، أصفر، ناعماً من عند حد الصخور حتى الماء. يتقدم الثلاثة بخطٍ مستقيم وبسرعة منتظمة من دون أقل انحرافٍ إلى اليمين أو إلى الشمال. يبدون هادئين وهم يمسكون بأيدي بعض. خلف ظهورهم يحمل الرمل، المبلل بالكاد، ثلاثة خطوطٍ لآثار سير أقدامهم العارية: ثلاثة تتابعات منتظمة لآثار متشابهة ومتباعدة عن بعضها بشكل متماثل، غائرة في الرمل من دون أن تتشابك.

ينظر الصبية أمامهم باستقامة من غير أن يتطلعوا لا إلى أعلى المنحدر ولا نحو البحر الذي تتلاطم موجاته الصغيرة على الجهة الأخرى. ولسبب ما،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

فإنهم لا يلتفتون خلفهم لتأمل المسافة التي قطعوها إذ يواصلون طريقهم بخطى متساوية وسريعة.

إلى الأمام منهم سربُ طيورٍ يذرع الساحل، تماماً عند الحد الذي تتكسر فيه الأمواج. تسير الطيور بموازاة سير الصبْية بالاتجاه نفسه وبفارق حوالي المائة متر عنهم. لكن، بما أن سرعة السرب أقل بكثير من سرعة الصبية، فإن هؤلاء كانوا يقتربون من الطيور. بينما يمحو البحر آثار خطى الطيور، فإن رسوم أقدام الصبية، المستمرة بالامتداد على طول الساحل، تظل منقوشةً بوضوح على الرمل القليل البلل.

يبدو عمق آثار أقدامهم ثابتاً في الرمل: إذ إنه لا يتجاوز السنتمترين على طول المسافة التي قطعوها. لا يشوه تلك الآثار انهيارُ حافات الساحل الذي يسببه موج البحر ولا انغرازُ مقدم أو مؤخر قدم كبيرة في الرمل. تبدو هذه الآثار كما لو كانت من صنع محراث داخل طبقة خارجية من أرض سهلة الحراثة.

هكذا، يمتد الخط الثلاثي لآثار أقدام الصبية الذي يبدو أنه، في الوقت نفسه، يصغر كلما ابتعد ويتباطأ فيذوب في أثر واحد يفصل الساحل إلى قسمين على امتداد طوله وينتهي هناك إلى حركة ميكانيكية صغيرة تبدو وكأنها تتم في مكانها: هبوط وصعود متناوب لستة أقدام حافية. لكن الأقدام إذ تبتعد، فإنها تزداد دنواً من الطيور. عما قريب لن يفصل بين المجموعتين سوى بضع خطوات...

عندما أوشك الأطفال أخيراً على الاقتراب من الطيور، صفقت هذه الأخيرة أجنحتها على حين غرّة وطارت فرادى ثم جماعات... يرسم السرب

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الأبيض والرمادي الآن قوساً فوق ماء البحر ثم يعود ليستريح على الرمل مستأنفاً ذرع الشاطئ بنفس الاتجاه دوماً وعند حد الأمواج على بعد مائة متر تقريباً.

من على هذه المسافة، تبدو حركات البحر بالكاد محسوسة، لولا التغير المفاجئ بلون الماء الذي يحدث كل عشر ثوانٍ في اللحظة التي يلمع فيها الزبد المتفجر بوجه الشمس.

من دون الاكتراث بالآثار التي ما زالت أقدامهم تحفرها، بدقة، في الرمل ولا بالأمواج الصغيرة التي إلى يمينهم ولا بالطيور التي تطير حيناً وتسير حيناً آخر والتي كانت تسبقهم، يواصل الأولاد الشقر الثلاثة سيرهم الواحد جنب الآخر بخطى متساوية وسريعة وهم يمسكون بأيدي بعضهم.

تبدو وجوههم التي لوّحتها الشمس والداكنة أكثر من شعر رؤوسهم، متشابهة يعلوها التعبير الجاد الرزين والقلِق نفسه، ربما، من شيء ما. حتى ملامح وجوههم متماثلة مع أنهم ليسوا جميعا ذكوراً. إذ إن اثنين منهم ولدان والثالثة فتاة ذات شعر أطول قليلاً وأكثر تجعيداً من شعر أخويها وجسمها أكثر رشاقة، لكن ملبسها يشبه تماماً ملبس أخويها فهي ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً من نسيج أزرق ناحل اللون.

توجد الفتاة في أقصى اليمين من جهة البحر. على يسارها يمشي أقصر أخويها. أما الأخ الآخر، الأقرب، فهو بطول قامة أخته.

يمتد أمامهم الرمل أصفر ومتساوياً على مدى النظر. إلى اليسار منهم، ينتصب جدار لصخرة سمراء عمودية تقريباً ولا يبدو أن لها مخرجاً نحو الجهة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الأخرى. على يمين الصبْية، يظهر البحر جامداً وأزرق على مدى الأفق، سطح الماء المنبسط تحده حافة تتفجر على حين غرة كي ينتشر عليها الزبد الأبيض.

بعد ذلك بنحو عشرة ثوان تحفر الموجة، التي تضخمت من جديد، المنخفض عينه من جهة الساحل يصاحبها هديرُ الحصى الناعمة نفسه.

تتكسر الموجة الصغيرة فيرتقي الزبد الحليبي المنحدرَ من جديد كي يعود ثانية إلى ملامسة المليمترات القليلة من أرض الساحل. في أثناء الصمت الذي تلا ذلك، ترددت في الفضاء الهادئ دقاتُ جرس بعيدة جداً.

"هو ذا الجرس" قال أقصرهم، ذلك الذي يسير في الوسط.

لكن ضوضاء الحصى التي يمتصها البحر تطغى على الرنين الذي يسمع بالكاد. يجب انتظار نهاية دورة البحر تلك من أجل أن يرصد المرء من جديد بعض الرنات التي يشوهها بعدُ المسافة.

"إنه الجرس الأول" قال أطول الولَديْن.

تتكسر الموجة إلى اليمين منهم.

عندما ساد الهدوء ثانية، لم يعودوا يسمعون شيئاً. ما زال الصبية الثلاثة الشقر يسيرون بالإيقاع المنتظم نفسه، يمسك أحدهم بيد الآخر. أمامهم سرب الطيور الذي ما عاد يبعد عنهم سوى خطوات. وكأنها اعتادت الأمر، صفقت الطيور أجنحتها وطارت ما أن شعرت باقتراب الأولاد منها.

إنها ترسم القوس ذاته فوق الماء ثم تعود وترتاح على الرمل كي تستأنف ذرعه بالاتجاه نفسه دائما عند حد الأمواج بالضبط على بعد حوالي مائة متر.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

"قد لا يكون هذا الجرس الأول، عاد أقصر الصبيين إلى القول، طالما أننا لم نسمع الجرس الآخر، قبل...

– كنا سنسمع الشيء نفسه"، أجاب الصبي الذي إلى جانبه.

لكنهم لم يغيروا، لذلك، مشيتهم إذ ما زالت نفس الآثار خلفهم تتشكل بالتدريج تحت أقدامهم الستة الحافية.

"قبل قليل من الآن لم نكن بهذا القرب" قالت الفتاة.

بعد فترة وجيزة، قال الولد الأطول، ذلك الموجود في جهة المنحدر، "ما زلنا بعيدين".

وساروا من بعد ذلك بصمت.

استمروا على صمتهم إلى أن رنّ الجرس ثانية، والذي ما زال من الصعب تمييز دقاته، في ذلك الفضاء الساكن. قال الأطول من بين الصبيين: "ذاك هو الجرس." لم يجب الآخرون بشيء.

صفقت الطيور، التي كان الصبية على وشك الوصول إليها، أجنحتها وطارت واحداً، اثنان، ثم عشرة... بعد ذلك حط السرب من جديد فوق الساحل يذرع طول الشاطئ على بعد حوالي المائة متر أمام الأولاد.

يمحو البحرُ الآثار النجمية لأقدام الطيور لكنه لا يفعل الشيء نفسه مع آثار أقدام الصبية الذين هم الآن أكثر قرباً من المنحدر، يسيرون جنباً إلى جنب ممسكين بأيدي بعض، يتركون خلفهم آثاراً عميقة يستطيل خطها الثلاثي بالتوازي مع الساحل على طول امتداد الرمل.

إلى اليمين، من جهة الماء الساكن والمنبسط، تتكسر، في ذات المكان دوماً، الموجة الصغيرة نفسها.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

داخل ممرات المترو

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

1- السلم الكهربائي

تقف مجموعة من الناس جامدةً أسفل السلم الطويل المصنوع من حديد رمادي اللون. تبرز درْجات السلّم تباعاً عند منصة الوصول ثم تختفي واحدة فواحدة وسط ضجة ماكنة حسنة التزييت مصحوبة، رغم ذلك، بتناسق ثقيل ومتشنج في الوقت نفسه، يعطي انطباعاً بأن حركة الدرجات تتم بسرعة كبيرة في هذا المكان حيث تختفي الواحدة تلو الأخرى تحت السطح الأفقي. لكن الحركة هنا تبدو، على عكس حالها في الأسفل، بمنتهى البطء وقد فقدت، زيادة على ذلك، كل مباغتة بالنسبة للعين التي تعثر، وهي تهبط على مجموعة الدرجات المتتالية، أسفل السلم الطويل المستقيم على المجموعة ذاتها من الناس وهي ما تزال جامدة عند المكان عينه. لم يغير هؤلاء من وقفتهم ولا حتى بقدر قليل. إنهم مجموعة ساكنة، يقفون الآن على الدرجات السفلى للسلّم الذي غادر بالكاد منصة الانطلاق. تجمدوا في أماكنهم حال ارتقائهم السلّم الميكانيكي، توقفوا فجأة، باضطراب تام، وبعجلة كاملة، كما لو أن وضع أقدامهم على الدرجات المتحركة قد شلّ أجسادهم على حين غرة الواحد بعد الآخر وجعلهم في أوضاع مسترخية وجامدة في الوقت نفسه، في حالة ترقب قَلِقٍ تشير إلى التوقف المؤقت وسط سير متقطع بينما السلّم بكامله يواصل صعوده ويرتفع وفق حركة منتظمة، مستقيمة، بطيئة تكاد تكون غير محسوسة، مائلة نسبة للأجساد الشاقولية.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تتكون المجموعة من خمسة أشخاص متجمعين على ثلاث أو أربع درجات متجهة نحو الأعلى، يقفون في الجزء الأيسر من الدرجات على مقربة كبيرة نوعاً ما من درابزين السلم الذي يتحرك، هو الآخر، بالحركة نفسها، لكنها عادت غير محسوسة بشكل أكبر بسبب شكل هذا الدرابزين نفسه الذي هو عبارة عن شريط بسيط وسميك من المطاط الأسود ذي المظهر الخارجي المتماثل والنهايتين المستقيمتين الخاليتين من أية علامة تسمح بتحديد السرعة ما خلا اليدين المستندتين عليه واللتان تبعد الواحدة منهما عن الأخرى مسافة متر تقريباً عند أسفل الرباط المنحني الضيق الذي يبدو ثباته في كل مكان واضحاً. تتقدم الأيدي نحو الأعلى بصورة متواصلة من دون اهتزاز حالها في ذلك حال باقي أجزاء السلّم.

أكثر الأيدي ارتفاعاً يدا رجل بحلة ذات لون رمادي شاحب، متغير يبدو أصفر تحت الضوء الأصفر. إنه يقف لوحده على إحدى الدرجات في مقدمة المجموعة، منتصب الجسم جداً، قدماه متلاصقتان وذراعه اليسرى مسحوبة نحو الصدر ممسكاً بيده صحيفة مطوية أربع طيات ينكبُّ عليها وجهه بطريقة تبدو مبالغاً فيها حيث إن العنق ينحني بمقدار كبير نحو الأمام. هدفه الرئيس من ذلك أن يعرض للنظر بشكل جيد، بدل الجبهة والأنف، مقدمة هامته الصلعاء في جزء كبير منها، العريضة والمستديرة ذات الفروة الوردية اللامعة التي يعترضها شريط عرضي ذو خصلة غير كثيفة من شعر أصهب ملتصق بالجلد.

لكن الوجه يرتفع فجأة نحو أعلى السلّم فتبدو حينئذ جبهته وأنفه وفمه ومجموع ملامح وجهه الخالية من التعبير. يستمر على هذا النحو لبضع

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ثوانٍ أكثر أكيداً مما يتطلبه التأكد من أن الصعود ما زال بعيداً عن النهاية بما يكفي لمواصلة قراءة المقالة التي بدأ مطالعتها، وهذا ما يقرر الرجل القيام به اخر الأمر. يخفض رأسه ثانية بصورة مفاجئة من دون أن يبدو على محياه، وقد اختفى الآن من جديد، أيّة علامة تشير إلى نوعية الانتباه الذي منحه لوهلة إلى المشهد المحيط به والذي من المحتمل أن لا تكون قد لاحظته عيناه المفتوحتان على سعتهما والثابتتان، ذاتا النظرة الفارغة. عند مكانها الأول وفي الموضع السابق نفسه، توجد الهامة المستديرة وصلعتها التي تتوسط الرأس.

كما لو أن الرجل، وسط قراءته للصحيفة، كان يفكر فجأة بهذا السلّم الكبير الخالي، المستقيم الذي كان قد تأمّله تواً من دون أن يراه والذي كان يراقبه بنوع من رد فعل متأخر. نظر إلى الخلف كي يعرف ما إذا كان فراغ مشابه يمتد من الاتجاه الآخر. يستدير فجأة مثلما فعل قبل مدة من دون أن يحرك بقية الجسم. يستطيع باستدارته تلك أن يستنتج أن أربعة أشخاص واقفون خلفه دون حراك صاعدون على السلّم الكهربائي بنفس سرعته هو. يعود الرجل لوضعه السابق ويستأنف قراءة جريدته. لم يتعثّر به المسافرون الآخرون. في الصف الثاني وبعد درْجة خالية تصعد امرأة وطفل. تقف المرأة تماماً خلف الرجل الماسك بالجريدة، لكنها لم تضع يدها اليمنى على الدرابزين، فهي تتدلى على امتداد جسمها، تحمل حقيبة أو كيساً شبكياً أو مظروفاً ذا شكل مدور، تتجاوز كتلته السمراء بالكاد السروال الرمادي للرجل مما يمنع من تحديد طبيعته بدقة. ليست المرأة شابة ولا كبيرة بالسن، يبدو على وجهها التعب، ترتدي معطفا أحمر وتزين وجهها بشال مزركش تلفه حول عنقها.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إلى يسارها، يقف الطفل. إنه صبي في حوالي العاشرة من العمر يرتدي بلوزة ذا ياقة عالية وبنطلوناً ضيقاً من قماش أزرق، يحتفظ برأسه نصف محني على كتفه ووجهه مرفوع جهة اليمين، نحو أمه أو ربما إلى الأمام قليلاً ناحية الجدار العاري المكسو بشكل موحد بألواح مستطيلة من السيراميك الأبيض الذي يتوالى بانتظام أعلى السلم بين المرأة والرجل الماسك بالجريدة. يمر بعد ذلك، دائماً بالسرعة نفسها على هذه الخلفية البيضاء، اللامعة، المقطعة إلى مستطيلات صغيرة لا متناهية متشابهة كلها ومرتبة ترتيباً جيداً، يمر شبحا رجلين يرتديان بدلتين كاملتين غامقتي اللون. أول الرجلين خلف المرأة ذات المعطف الأحمر، إلى الأسفل منها بدرجتين محتفظاً بيده اليمنى موضوعة على درابزين السلّم، ثم، بعد ثلاث درجات فارغة، يوجد الرجل الثاني واقفاً خلف الطفل، لا يصل رأسه أعلى من خفَّيْ الطفل، أي أدنى قليلاً من ركبتي الرجل صاحب الجريدة الذي تميز بنطلونَه الأزرق طياتٌ متعددة أفقية تجعد قماش السروال.

وتستمر المجموعة الساكنة بالصعود، وضعية كل واحد منهم كما هي بدون تغيير. لكن الرجل الذي في المقدمة استدار كي ينظر وراءه إلى الشخص الذي في نهاية المجموعة. يلتفت هذا الأخير إلى الوراء بدوره متسائلاً دون شك عن هذا الانتباه غير العادي من قبل الرجل الذي في مقدمة السلّم. لا يلمح غير السلسلة الطويلة للدرجات الهابطة المتتابعة والمجموعة الساكنة أسفل السلّم المستقيم الرمادي واقفة على الدرجات الأخيرة والتي تركت لتوها منصة المغادرة وبدأت الصعود بنفس الحركة البطيئة الواثقة باقية دائماً على المسافة نفسها.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

2- نفق

حشد مبعثر من ناس مسرعين، يسيرون كلهم بالسرعة نفسها، يتابعون المسير في نفق من غير ممرات عرضية، تحدّه من كلا طرفيه استدارة غير حادة، لكنها تحجب تماماً مخارجه النهائية. تزيّن جدرانَ النفق من اليمين واليسار ملصقاتٌ دعائية متشابهة ومتتالية تفصل بينها مسافاتٌ متساوية يظهر فيها رأس امرأة على ارتفاع يساوي تقريباً ارتفاع قامة شخص عادي من أولئك الذين يمرون أمامها بخطوة سريعة دون أن يديروا أنظارهم اليها.

هذا الوجه الضخم ذو الشعر الأشقر المجعد والعينان المحاطتان بحاجبين طويلين جداً والشفتان الحمراوتان والأسنان البيض، يظهر منه ثلاثة أرباعه، يبستم وهو ينظر إلى المارة المستعجلين الذين يتجاوزونه الواحد تلو الآخر. إلى الجانب الأيسر من الوجه، توجد قنينة مشروب غازي مائلة بزاوية 45 درجة تدير عنقها نحو الفم المفتوح. النص الدعائي مكتوب على خطين بأحرف ممزوجة: كلمة (دائماً) موضوعة أعلى الزجاجة والكلمتان (أكثر نقاءً) في أسفلها، عند آخر أدنى الملصق على خط منحني صاعد قليلاً مقارنة بالحد العرضي للملصق.

على الإعلان التالي، توجد الكلمات ذاتها بالترتيب عينه. الزجاجة المائلة نفسها بشرابها الذي على وشك أن يسكب، والوجه ذو الابتسامة الحيادية. ثم، بعد مساحة فارغة يغطيها سيراميك أبيض، يتكرر المشهد نفسه

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

من جديد، متجمداً على اللحظة نفسها حيث تقترب الشفتان من عنق الزجاجة الممدود ومن السائل الذي على وشك أن يندلق. من أمام الملصق، يمر الناس المسرعون أنفسهم، يمرون من دون أن يلتفتوا برؤوسهم جهة الإعلان مواصلين طريقهم نحو الملصق التالي.

تتعدد الأفواه وتتكاثر الزجاجات والعيون الكبيرة مثل أيدٍ وسط الرموش الطويلة المقوسة. على الجدار الآخر للممر، تتكرر العناصر نفسها بالضبط (ما عدا أن اتجاهات النظر وعنق الزجاجة تتبادل الأماكن). تتعاقب بفواصل ثابتة في الجانب الآخر الظلالُ المعتمة للمسافرين الذين يواصلون المرور بنسق غير متساوٍ، لكن من دون انقطاع أسفل لوحات الدلالة ذات اللون الأزرق السماوي، بين القناني الحمر والوجوه الوردية ذات الشفاه المنفرجة. قبل الاستدارة تماماً، يعيق مرورَ المسافرين رجلٌ متوقف على بعد متر تقريباً من الجدار الأيسر، يرتدي بدلة رمادية ذات لون غير فاتح تماماً، يمسك بيده اليمنى المتدلية على طول جسمه صحيفةً مطوية أربع طيات. إنه يتأمل الجدار الآن، عند حدود أنف أكبر من الوجه كله الموجود على مستوى عينيه. بالرغم من الطول الهائل للملصق وقلة التفاصيل التي تزينه، فإن رأس المشاهد ينحني إلى الأمام لكي يرى بشكل أفضل. يجب على المارة أن ينحرفوا للحظة عن مسارهم المستقيم كي يتجاوزوا هذه العقبة غير المتوقعة. كلهم تقريباً كانوا يمرون من خلف الرجل. غير أن بعضهم ممن لاحظوا، بشكل متأخر، أنهم سيقطعون تأمله أو أولئك الذين لا يريدون أن يزعجوا أنفسهم بالانحراف قليلاً عن طريقهم أو من لا يدركون شيئاً مما يجري، كانوا يمرون بين الرجل

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

والملصق فيعترضون حينئذ مسار نظره ويحيلون بذلك بينه وبين النظر إلى الصورة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

3- خلف البوابة

توقف الحشد أمام باب ذي مصراعين مغلق يمنعهم من الوصول إلى رصيف المحطة. تملأ كل السلم الذي ينزل إلى هناك أجسادٌ متلاصقة بعضها ببعض إلى درجة أن الرؤوس، التي لا يفصل بينها أي مساحة فارغة، وحدها هي المرئية. كل الرؤوس ثابتة من دون حراك والوجوه جامدة لا يبدو عليها لا الغم ولا نفاد الصبر ولا الأمل.

الرؤوس كثيرة، هي في الغالب لرجال دون قبعات، شعور رؤوسهم قصيرة وآذانهم واضحة جيداً، إنهم ينزلون باتجاه منحدر السلّم نفسه لكن من دون أن يبقى محسوساً انتظام تتابع الدرجات المتلاحقة. خلف تلك الهامات، يرتفع الجزء الأعلى للأبواب، متجاوزاً الصف الأخير من الرؤوس بثلاثين سنتيمتراً. ليس بين البوابتين المغلقتين سوى فراغ قليل لا يكاد يبين. إنهما موصولتان، أحدهما من اليمين والآخر من الشمال، إلى جزأين ثابتين ضيقين جداً يدوران عليهما عندما يفتحان. لكن، في هذه اللحظة، فإن كلا المحورين والبوابتين المغلقتين يشكلان جداراً متصلاً تقريباً يمنع المرور تماماً عند نهاية الدرجة الأخيرة من السلّم.

البوابتان وكل ما يلحق بهما مدهون بالأخضر الغامق. تبرز على كل واحدة من البوابتين كتابة ضخمة بيضاء على خلفية حمراء مستطيلة تحتل كل عرض البوابة تقريباً. وحده السطر الأول من هذه العبارة التي تعني "بوابة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

آلية"، يظهر عند أعلى الصف الأخير من الرؤوس، والذي لا يسمح إلا برؤية حروف مبعثرة من السطر الثاني للوحة تظهر من بين آذان المسافرين.

الهامات المتلاصقة تهبط بميلان خفيف، كلمات عبارة (بوابة أوتوماتيكية) مكررة مرتين في عرض الممر ثم بعد ذلك، إلى الأعلى، على شريط أفقي لونه اخضر غامق، لامع... إلى الأعلى أكثر، المكان فارغ إلى حد القبة نصف الدائرية التي يتصل بواسطتها سقف السلم بالمحطة، عند طرف هذه الأخيرة، في عمق امتدادها.

ضمن هذا المدخل نصف الدائري يظهر جزء صغير جداً من الرصيف، وإلى الأعلى من جهة اليسار، تبدو قطعة من دائرة يضمها الحبل المنحني الذي يشكله طرف الرصيف، وكذلك جزء أصغر من عربة القطار المتوقفة مقابل الرصيف.

يتعلق الأمر بجدار من صفائح فولاذية خضر، يقع من دون شك خلف القطار، بعد عتبة الباب الأخير الذي يتجمد أمامه المسافرون بانتظار أن يستطيعوا الدخول إلى العربة. من المحتمل أن شيئاً ما يمنعهم من فعل ذلك بالسرعة التي يودونها- مسافرون ينزلون أو وجود حشد كبير في داخل العربة- لأنهم ما زالوا تقريباً جامدين. على الأقل من الممكن الحكم على ذلك بواسطة الجزء القليل من أجسادهم الذي يمكن رؤيته. وحدها تبدو، في الحقيقة، فوق الرؤوس والكتابة الموجودة على أعلى الأبواب المغلقة، الأحذية والجزء الأسفل من سراويل الرجال الذين يتهيؤون للصعود إلى العربة، والذين لا يظهر منهم غير أسفل ركَبِهم لأن القبة ذات القوس الدائري تحجب الأجزاء العليا من أجسادهم.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

السراويل ذات ألوان غامقة والأحذية سود يعلوها الغبار. من وقت لآخر يرتفع حذاء إلى النصف ويستقر حالاً على الأرضية وقد تقدّم بالكاد سنتيميتراً واحداً أو لم يتقدم أبداً أو حتى تراجع قليلاً. تصدر الأحذية المتجاورة، في الأمام أو الخلف، تبعا لذلك، حركاتٍ مماثلةَ يكون أثرها أيضاً محسوساً بشكل قليل. ومن جديد، يهمد كل شيء. في الأسفل، بعد القطع الذي يصنعه الجدار الحديدي المصبوغ والذي يحمل كلمات (بوابة أوتوماتيكية)، تظهر الرؤوس ذات الشعر القصير والآذان الواضحة جيداً والوجوه الخالية من التعبير.

1959

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الغرفة السرية

إلى غوستاف مورو

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أول ما يمكن رؤيته بقعةٌ حمراء، لونها الأحمر غامق، لامع غير أنه داكن وذو ظلال سوداء تقريباً. للبقعة شكل وردة غير منتظمة، ذات ملامح واضحة. إنها تمتد بأكثر من اتجاه بتدفقات كبيرة وأطوال غير متماثلة تتفرق وتتضاءل فيما بعد إلى أن تغدو محض خطوط دقيقة شبكية ومتعرجة. يبرز الكل على سطح شاحب، أملس، مدور الشكل، باهت ولؤلؤي في الوقت نفسه، نصف كرة موصولة بانحناءات لطيفة إلى فضاء من اللون الشاحب نفسه ذي بياض يضفي عليه ظلُ المكان بعضاً من الظلمة. قد يكون هذا المكان: زنزانة، صالة منخفضة، أو كاتدرائية تتوهج بتألق كبير في شبه العتمة هذه.

إلى الوراء بعيداً، تحتل الفضاءَ صفوفٌ من البراميل الأسطوانية التي تتضاعف وتتلاشى تدريجياً نحو الداخل حيث تبدو بوضوح بدايةُ سلّم عريض من الحجر يرتفع ويستدير قليلاً فيصبح أضيق فأضيق كلما ارتفع نحو القباب العالية حيث يختفي ويتلاشى.

هذا المشهد كله فارغ بسلالمه وأروقته. وحيداً، في المقدمة، يلتمع على نحو ضعيف، الجسدُ الممدد حيث تنتشر بقعةُ الدم الحمراء. جسد أبيض يبدو ممتلئ وطرياً، انه هش دون شك، وقابل لأن يُجرح بسهولة. إلى جانب نصف الكرة المخضبة بالدم، هناك شيء مستدير مماثل، غير أنه سليم لم يمس، يبدو للعين تحت زاوية بالكاد مختلفة، لكن الهالة الملونة التي تكلله ذات لون أكثر

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عتمة، وهي هنا قابلة للتمييز تماماً، عكس الأولى المدمرة كلياً تقريباً أو في الأقل المخفية تحت الجرح الذي يغطيها.

في الخلف، عند مقدمة السلم، يبتعد خيالُ شبحِ أسودَ لرجلٍ يلتفع معطفاً طويلاً فضفاضاً، يرتقي الدرجات الأخيرة للسلّم من دون أن يستدير، فقد أنجز عمله. يتصاعد دخانٌ خفيف بأشكال حلزونية يصدر عن مبخرة موضوعة على قائمة عالية مصنوعة من حديد ذي لمعان فضي. قريباً جداً من تلك المبخرة، يستريح الجسد الحليبي حيث تسيل من الثدي الأيسر شبكاتٌ واسعة من الدم الذي يمتد على طول الخاصرة ويصل إلى الورك.

إنه جسد امرأة ممتلئة من دون سمنة مفرطة. الجسد عارٍ تماماً، مستلقٍ على الظهر، الجزء العلوي منه مرفوع قليلاً بواسطة وسادات سميكة مرمية على الأرض التي تغطيها سجاداتٌ عليها رسوم شرقية. الخصر رشيق جداً والعنق رفيع، طويل ومائل إلى الجانب، الرأس ملقىً إلى الخلف في منطقة أكثر عتمة حيث تبين، رغم ذلك، ملامحُ الوجه: الفم نصف المفتوح، العينان الكبيرتان المفتوحتان، يلتمع فيهما ألقٌ ثابت، كتلة الشعر الطويل الأسود، المنتشر أمواجاً بغير انتظام على قماش ذي طيات مرتبكة قد يكون مصنوعاً من المخمل. إضافة إلى الرأس، تستقر على القماش أيضا الذراع والكتف.

المخمل من لون واحد، بنفسجي غامق، أو أنه يبدو كذلك تحت هذه الإضاءة. لكن البنفسجي، البني، الأزرق، تبدو أيضا سائدة في الوان الوسادات والتي لا يخفي القماش المخملي إلا جزءاً بسيطاً منها. إلى الأسفل أيضاً، تحت النصف العلوي للجسد وتحت الخصر، يطغى وجود تلك الألوان وكذلك في الرسوم الشرقية للسجادات التي تغطي الأرضية. أبعد من ذلك،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

هذه الألوان نفسها موجودة كذلك على حجارة البلاطات كما على حجارة الأعمدة، وعلى أقواس الأقبية والسلم والمساحات الغامضة التي تضيع عندها حدود الصالة. من الصعب تحديد أبعاد هذه الأخيرة. للوهلة الأولى، تبدو المرأة الشابة المضحى بها تحتل مكاناً مهماً في تلك الصالة، لكن الأبعاد الواسعة للسلم الذي ينحدر إلى حيث هي ممددة قد تدل على أن الأمر لا يتعلق هنا بالصالة كلها، والتي لا بد لامتدادها المعتبر أن يتوسع في الواقع إلى كل الجوانب، يميناً وشمالاً كما نحو هذه الألوان الزرق والبنية البعيدة حيث تصطف الأعمدة في كل الاتجاهات وربما يمتد نحو آرائك أخرى، وسجادات سميكة، ركام من وسادات وأقمشة، وإلى أجساد أخرى معذبة ومبخرات ثانية.

من الصعب أيضا تحديد الجهة التي يأتي منها الضوء. لا وجود لأي أثر على الأعمدة أو على الأرضية يشير إلى الاتجاه الذي تنبعث منه الأشعة. ليس هناك شباك مرئي، ولا شعلة في مكان آخر. إنه الجسد الحليبي نفسه هو الذي يبدو يضيء المشهد، الصدر ذو النهدين النافرين، انحناء الوركين، البطن، الفخذان الممتلئان، الساقان الممدودتان والمفتوحتان على وسعهما والشعر الأسود للعضو التناسلي المكشوف، المثير، المانح نفسه والذي لم يعد صالحاً لشيء.

سبق للرجل أن ابتعد عدة خطوات. هو الآن على الدرجات الأولى للسلّم الذي يتهيأ لصعوده. درجات السلّم السفلى طويلة وعريضة مثل تلك التي تقود إلى بناء ما، معبد أو مسرح، تصغر تدريجياً بعد ذلك كلما ارتفعت ويصدر عنها في نفس الوقت حركة حلزونية خفيفة لدرجة أن السلّم لم يكمل

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

بعدُ نصفَ دورة حتى يختفي عند أعلى القبب. قبل أن يتلاشى، يصغر السلّم ويتحول ممراً ضيقاً، حاداً من غير درابزين، يصعب تحديده في الظلمة التي كانت تتكاثف.

غير أن الرجل لا ينظر من هذا الجانب حيث ستحمله، رغم ذلك، خطواته. قدمه اليسرى على الدرجة الثانية واليمنى كانت مسبقاً موضوعة على الثالثة والركبة مثنية. استدار كي يتأمل المشهد للمرة الأخيرة. المعطف الطويل الفضفاض الذي رماه على عجل فوق كتفيه والذي يمسكه الآن بإحدى يديه المرفوعة إلى مستوى الخصر، كان قد سُحبَ بسبب الدوران السريع الذي أعاد الرأس توّاً والجزء العلوي من الجسد في الاتجاه المعاكس لسير الرجل. طية قماش طائرة في الهواء بتأثير هبة ريح تشكل زاوية تلتف على نفسها شبيهة بحرف S انفراجاته واسعة بما يكفي كي تسمح برؤية بطانة الحرير الأحمر المطرزة بالذهب.

ملامح الرجل جامدة لكنها متوترة كما لو كان ينتظر أو يخشى ربما من حصول حدث مفاجئ أو أنه بالأحرى كان يراقب بنظرة أخيرة السكون التام للمشهد. مع أنه ينظر هكذا إلى الخلف، فإن كل جسده بقي منحنياً قليلاً إلى الأمام كما لو كان يواصل متابعة صعوده. الذراع اليمنى- تلك التي لا تمسك بطرف المعطف- نصف ممدودة إلى اليسار نحو نقطة من الفضاء حيث ينبغي أن يكون موجوداً الدرابزين إذا ما كان هذا السلم يحتوي على درابزين، حركة غير مكتملة، تكاد تكون غير مفهومة، إلا إذا كان الأمر يتعلق هنا بحركة غريزية غرضها الإمساك بالمسند غير الموجود.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أما بخصوص اتجاه نظره، فهو مصوب بالتأكيد إلى جسد الضحية الممدد على الوسائد والمباح، أعضاؤه متباعدة مثل صليب، النصف الأعلى للجسد مرتفع قليلاً، الرأس ملقىً إلى الخلف. لكن الوجه ربما يكون محجوباً عن نظر الرجل من قبل أحد الأعمدة المنتصب عند أسفل الدرجات. اليد اليمنى للمرأة الشابة تلامس الأرضية تماماً عند موضع قدمها. سوار سميك من حديد يحيط بالمعصم الهش. الذراع تقريباً في الظل، وحدها اليد تتلقى ما يكفي من الضوء كي تكون الأصابع الدقيقة المتباعدة مرئية بشكل واضح عكس النتوء الدائري الموجود عند قاعدة العمود الحجري. سلسلة معدنية سوداء تحيط بالنتوء وتمر داخل حلقة متصلة بالسوار رابطة بقوة المعصمَ إلى العمود. عند الطرف الآخر من الذراع، كتف دائري مرفوع بواسطة الوسائد، هو الآخر مضاء جيداً مثله مثل العنق، الصدر والكتف الآخر، الإبط مع الزغب والذراع اليسرى الممدودة هي الأخرى إلى الخلف والمعصم المثبت بنفس الطريقة عند قاعدة العمود الآخر، قريباً جداً من المقدمة. هنا يبدوان بوضوح كامل السوار الحديدي والسلسلة، بارزان بوضوح تام بكل تفاصيلهما الدقيقة.

عند المقدمة، لكن من الجانب الآخر، ينطبق الشيء نفسه على سلسلة تشبه الأولى مع كونها أقل ضخامةً بقليل. إنها تقيد الكاحل مباشرة، تدور حوله مرتين وتوثقه بحلقة قوية مثبتة إلى الأرضية. على بعد متر تقريباً أو أكثر إلى الخلف، توجد القدم اليمنى مقيدة بطريقة مماثلة. لكن القدم اليسرى وسلسلتها هما اللتان ظاهرتان بوضوح أكبر.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

القدم صغيرة، رقيقة، مجسمة بدقة. عصرت السلسلةُ بعضَ مواضع الجسد، حافرة فيه نتوءات محسوسة مع كونها ذات انتشار قليل. حلقات السلسلة بيضوية الشكل، سميكة، حجمها بقدر العين، تشبه تلك التي تستخدم لربط الشعر. إنها تقريباً ممدودة على البلاطة الحجرية ومثبتة إليها بواسطة رزة ضخمة. على بعد بضعة سنتمترات، يبدأ طرف إحدى السجادات. إنه يرتفع هنا بتأثير ثنية سببتها من دون شك الحركات المتشنجة للضحية عندما كانت تحاول الدفاع عن نفسها مع كون تلك الحركات محدودة جدا بالضرورة.

ما زال الرجل نصف منحنٍ على المرأة الشابة، واقفاً على مسافة متر منها. إنه يتأمل وجهها المضطرب: عينيها المظلمتين اللتين جعلهما الماكياج أكبر مما هما عليه في الواقع، الفم المفتوح على سعته كما لو كان يصرخ. الموضع الذي يقف فيه الرجل لا يسمح بأن يُرى من شكله غير مظهر جانبي ضائع، لكن يمكن للمرء أن يخمن إنه فريسةُ حماس عنيف رغم هيئته الجامدة وصمته وسكونه. الظهر منحن قليلاً. اليد اليسرى، الوحيدة التي يمكن رؤيتها، تمسك بعيداً عن الجسد قطعةً من قماش، ملبس ما من لون غامق يتسكّع فوق السجادة. لا بد أنها العباءة الطويلة ذات التطريز المذهب.

يحجب هذا الشبح الضخم جزءاً كبيراً من الجسد العاري حيث البقعة الحمراء والتي انتشرت على تكويرة النهد، تنساب بخطوط طويلة تتشعب وتتضاءل، فوق المؤخرة الشاحبة للجذع وعلى كل جانب الجسم. أحد خطوط الدم تلك وصل إلى الإبط وخط خطاً دقيقاً مستقيماً تقريباً على طول الذراع. خطوط أخرى من الدم نزلت نحو الخصر ورسمت على أحد جوانب البطن

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

والورك وأعلى الفخذ، شبكة أكثر عشوائية كانت قد بدأت بالتخثر مسبقاً. ثلاثة خطوط أو أربعة تقدمت حتى تجويف الفخذ وتجمعت على شكل خط متعرج يتصل بحافة حرف V كونته القدمان المنفرجتان، ويتلاشى في شعر العانة الأسود.

هو ذا الآن الجسد ما زال سليماً لم يمسّ: الشعر الأسود والبطن البيضاء، الانحناء الطري للوركين، الخصر الضيق وإلى الأعلى قليلاً، النهدان اللؤلؤيان اللذان يعلوان بتأثير تنفس سريع، والذي يتسارع الآن إيقاعه أكثر. الرجل قبالتها تماماً، يضع ركبة على الأرض، ينحني أكثر. الرأس ذو الشعر الطويل المعقوص والوحيد الذي احتفظ بشيء من حرية الحركة يضطرب، يتخبط. ينفتح أخيراً فم الفتاة وينحرف، بينما الجسم يستسلم، يتدفق الدم على البشرة الرقيقة، المتشنجة، العينان السوداوان ذاتا الماكياج المتقن تكبران بطريقة هائلة، ينفرج الفم أكثر، يميل الرأس يميناً وشمالاً بعنف مرة أخيرة، ثم على مهل، يسقط، في النهاية، إلى الخلف ثانية ويخمد داخل كتلة الشعر الأسود المنتشرة على المخمل.

في أعلى السلم الحجري، الباب الصغير مفتوح، سامحاً لضوء أصفر معزز بالدخول، يبرز بعكس الضوء الشبحُ المعتم للرجل المتلفّع بعباءته الطويلة. لم يعد أمامه غير أن يصعد بعض درجات كي يصل إلى العتبة.

بعدئذ، كل الديكور فارغ، الصالة الواسعة ذات الظلال البنفسجية بأعمدتها الحجرية التي تتضاعف في كل الجهات، السلم الأثري الخالي من الدرابزين والذي يعلو مستديراً حتى يضيق أكثر ويتلاشى كلما ارتفع داخل العتمة نحو أعلى القبب حيث يختفي.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

قرب الجسد الذي تجلط جرحه وخفت بريقه، يرسم الدخان الخفيف المنبعث من المبخرة في الهواء الهادئ ممرات معقدة: هذه أولاً لفة دخان تمتد إلى اليسار، ترتفع فيما بعد وتعلو قليلاً ثم تعود نحو محور نقطة انطلاقها، بل وتتجاوزه على اليمين ثم تعاود الانطلاق من جديد بالاتجاه الآخر كي تعود ثانية راسمة، هكذا، منحنى غير منتظم يضعف على نحو متزايد ويصعد عموديا نحو قمة اللوحة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

صدر عن دار شهريار للطباعة والنشر

روشيرو	حسين رشيد	قصص قصيرة جداً	2017
جثة في بيت داكن	مازن المعموري	شعر	2017
أصوات من هناك	نعيم آل مسافر	رواية	2017
طريق لا يسع إلا فرداً	عبد الزهرة زكي	نقد	2017
التداخل النصي في الرواية العراقية	أماني حارث الغانمي	دراسة	2017
الشعراء نقاداً.. المفهوم والتمثلات	د. أماني حارث الغانمي	دراسة	2017
رواية الذاكرة وذاكرة الرواية	صدّوق نور الدين	نقد	2017
بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات	تحرير: د. صلاح حسن حاوي د. عبد الوهاب صديقي	بحوث محكّمة	2017
النوم إلى جوار الكتب	لؤي حمزة عباس	نقد	2017
الناقد وآفاق القراءة	تحرير: د. علي متعب جاسم د. فاهم طعمة أحمد	نقد	2017
النقد القصصي في العراق من المقالية إلى المنهجية	د. فاهم طعمة أحمد	دراسة	2017
مهب الرمية الغامضة	وليد هرمز	شعر	2017
البلاغة الثائرة	د. سعيد العوادي	بحوث محكّمة	2017
كتاب الجنوب	تحرير	شعر	2017
العقرب على أدراج محطة انديمشك	حسين مرتضائيان آبكنار ترجمة: حسين طرفي عليوي	رواية	2017
ماذا نفعل بدون كالفينو	ضياء جبيلي	قصص	2017
غيمة شيكاغو	حيدر عودة	قصص	2018
طين فائض	حيدر كتّاد	شعر	2018
رائحة الالتفات	حسن علاء الدين	دراسات	2018
تحوّلات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة	إيهاب حسن ترجمة: السيد إمام	دراسات	2018

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كلاب طروادة	ناصر الحجاج	شعر	2018
مدخنة الطيور	أحمد العجمي	شعر	2018
خارج النافذة بقليل	حيدر قحطان	شعر	2018
لو أنها أنجبت سلحفاة	مصطفى عبود	شعر	2018
السلبيليات	إسماعيل فهد إسماعيل	رواية	2018
البلاغة والتواصل عبر الثقافات	د. عماد عبد اللطيف	دراسة	2018
سرد الأمثال	د. لؤي حمزة عباس	دراسة	2018
بلاغة التزوير	د. لؤي حمزة عباس	دراسات	2018
الأشياء التي لا نفعلها	قصص إسبانية	ترجمة: أحمد عبد اللطيف	2018
يطعنون الهواء برماح من خشب	كريم جخيور	شعر	2018
لا أسمع غيري	ورود الموسوي	شعر	2018
ظل استثنائي	عبد الحليم مهودر	قصص قصيرة	2018
سادن الأقفال	حسن دعبل	نصوص	2018
إصلاح اجتماعي أم ثورة؟	روزا لوكسمبورغ	سياسة	2018
تلك البلاد العراق في رسائل ما بين الحربين العالميتين	سيرل بورتر ترجمة: أمل بوترت	رسائل- تاريخ	2018
جدل الهوية في الرواية العراقية الجديدة	جميل الشبيبي	نقد	2018
نساء ماهر الخيالي	ياسين شامل	رواية	2018
من الحداثة إلى ما بعد النسوية	أماني أبو رحمة	دراسات	2018
أشياء وأمكنة	أسعد الأسدي	نصوص في المكان	2018
جماليات الرواية العراقية	د. نجم عبد الله كاظم	نقد	2018
القراءة الآثمة للفلسفة	حيدر دوشي	دراسة	2018
سيارة مكشوفة في يوم مشمس	ميسلون هادي	قصص	2018
طائر يشبه السمكة	محمد حياوي	قصص قصيرة جداً	2018

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

رسائل حب خادعة	د. لحسن الكيري	مختارات قصصية إسبانية	2018
لا أحد يأخذ الظل إلى بيته	طيب جبار ترجمة عبد الله البرزنجي	شعر كردي	2018
تمثلات السلطة في روايات فؤاد التكرلي	د. محمد عبد الحسين هويدي	دراسة	2018
لقطات	آلان روب- غرييه ترجمة د. حسن سرحان	قصص	2018
إشكاليات الحجاج	د. صلاح حسن حاوي	بلاغة جديدة	2018
الميتافكشن	باتريشيا ووه ترجمة السيد إمام	نقد	2018
البصرة أواخر القرن العشرين	مجموعة قصاصين	قصص	2018
إيهاب حسن.. أوديب أو تطور ما بعد الحداثة	إيهاب حسن وآخرون ترجمة: السيد إمام	حوارات ودراسات	2018

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

القصص

آلان روب-غرييه والقصة القصيرة 5

ثلاث زوايا نظر متعاكسة 11

1 - المانيكان 13

2 - البديل 17

3 - الاتجاه الخاطئ 24

طريق العودة 27

مشهد 39

الشاطئ 47

داخل ممرات المترو 55

1 - السلم الكهربائي 57

2 - نفق 61

3 - خلف البوابة 64

الغرفة السرية 67

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

د. حسن سرحان

مواليد الديوانية/ جنوب العراق.

دكتوراه في الأدب الفرنسي المعاصر من جامعة السوربون بباريس.

يعمل حالياً أستاذاً في كلية اللغات/ جامعة بغداد.

يُعد في الوقت الحاضر اطروحته لنيل الأستاذية (HDR) من جامعة بيكاردي عن روايات باتريك موديانو.

صدر له:

- آلان روب-غرييه: فنارات نحو القرن الحادي والعشرين، كتاب مشترك، (باللغة الفرنسية)
- مشكلات الترجمة الأدبية، دار المأمون/ وزارة الثقافة العراقية
- أثر أساطير الثقافة الشعبية المعاصرة في تشكيل خطاب النص الأدبي، دار النشر الأكاديمية الفرانكوفونية، المانيا/فرنسا.
- تهديم بنية الشخصية الروائية في الرواية الفرنسية الجديدة، دار نشر ايديليفر، باريس.
- أدب العوام والرواية الفرنسية الجديدة، دار نشر ايديليفر، باريس.
- الرواية الفرنسية المعاصرة، نظرة أجنبية، كتاب مشترك، دار نشر غارنييه، باريس.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لقطات

شهريار... حكاية في كتاب

لم ينشر روب- غرييه طوال أكثر من نصف قرن من العمل الإبداعي إلا مجموعة قصصية واحدة عنوانها "لقطات" صدرت سنة 1962 عن دار مينوي الباريسية. غير أن ما يميز أشياء روب- غرييه أنها لا تعرف الكلام ولا تجيد تمرير الرسائل لأن الكاتب لا يبيح لشخصياته أن تُسقط عليها شحناتها الانفعالية. أشياء روب-غرييه لا تملك غير سمة واحدة: إنها "هنا" وفقط وليست "هنا" لكي توصل معنى ما أو تحيل إلى فكرة ما. من أجل أن يوفر للرائي فرصة السيطرة على حركة العين ويتيح لهذه الأخيرة إمكانية التجوال المستريح والمتكرر في فضاء المكان والإسهاب في وصف محتوياته القليلة، بنى روب- غرييه عالم قصصه الفني على اقتصاد شديد في كل مفردات القص. فقصصه لا تحوي شخصيات كثيرة وأمكنته ضيقة غالباً ولا تتعدى أن تكون: غرفة، صالة درس، جزءاً معزولاً من شاطئ لا يرتاده كثيرون، زنزانة سجن، مقهى أو بيتاً مهجوراً. ليس في هذه الأمكنة غير أشياء جامدة وقليلة لا تتفاعل مع بعضها ولا مع الشخصيات التي تقاسمها الحيز لكنها، أي الأشياء، هي من تحدد شكل النص وتصيغ مساره السردي وتعيّن له صفة خطابه الجمالي.

ISBN 978-1-7732283-2-7

jamalon Arab Bookstore
nwf.com نيل وفرات.كوم
روائع شهريار القصصية